سورة "ق" ودلالتها على التوحيد

عرض ودراسة

أ. د. علي بن عبد الرحمن القرعاوي

الأستاذ بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية الشريعة، جامعة القصيم

kraaoie@qu.edu.sa

ملخص البحث: هذا البحث يتناول سورة (ق) وهي من السور المكية التي عنيت بأصول العقيدة، وأول هذه الأصول وأهمها: توحيد الله تعالى بجميع أنواعه: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وقد جاءت الأدلة في هذه السورة بأسلوب يجمع بين الحجج العقلية والمواعظ القلبية والمشاهد الأخروية، مما يجعلها من أبرز السور التي تبني العقيدة الصحيحة في النفوس. جاء هذا البحث للتأكيد على أن حاجة البشر إلى التوحيد أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب والهواء، إذ به قوام حياتهم القلبية والروحية، وسعادتهم الأبدية، ونجاتهم من عذاب الله، ونيلهم لرضاه وجنته، ومن رحمة الله تعالى أنه يسّر للناس سبل الوصول إلى تحقيق التوحيد، والقرآن كله في يدور حول التوحيد وبيان معانيه ودلالاته، فآيات القرآن إما تعريف بالله وصفاته، أو دعوة لعبادته وحده، أو أمر ونهي مرتبطان بحقوق التوحيد، أو بيان لمصير المؤمنين الموحدين، أو وعيد للمشركين.

وقد جاءت سورة ق مثالًا جليًا على هذا، فقد اشتملت آياتها على موضوعات عقدية عظيمة تتعلق بتوحيد الله تعالى، وكان نبينا ﷺ يكثر من قراءتها في المجامع العامة، كخطبة الجمعة، وذلك لما تحويه من معانٍ تهز القلوب وتؤثر في النفوس وتذكّر بالآخرة، وتؤكد على مراقبة الله تعالى وعلمه وإحاطته بخلقه.

الكلمات المفتاحية: (دلالات – التوحيد – سورة ق)

سورة "ق" ودلالتها على التوحيد - عرض ودراسة

أ. د. علي بن عبد الرحمن القرعاوي

Surah Qaf and Its Indication of Tawheed

A Review and Analytical Study

Prof. Dr. Ali bin Abdulrahman Al-Qur'awi
Professor, Department of Creed and Contemporary Doctrines
College of Sharia, Qassim University
kraaoie@qu.edu.sa

Research Summary: This study explores Surah Qaf, one of the Meccan chapters of the Qur'an, which is primarily concerned with the fundamental principles of Islamic creed ('aqeedah). Foremost among these principles is the concept of Tawheed—the oneness of Allah—in all its forms: Tawheed al-Ruboobiyyah (Oneness of Lordship), Tawheed al-Uloohiyyah (Oneness of Worship), and Tawheed al-Asmaa wa al-Sifaat (Oneness of Allah's Names and Attributes). The evidences presented in this surah employ a compelling blend of rational arguments, heartfelt admonitions, and vivid depictions of the Hereafter, making it one of the most impactful chapters in cultivating sound faith . This research emphasizes that humanity's need for Tawheed surpasses even their need for food, drink, and air, as it is the foundation of their spiritual life, eternal happiness, salvation from divine punishment, and attainment of Allah's pleasure and Paradise. Out of His mercy, Allah has made the path to Tawheed accessible and clear. Indeed, the entire Qur'an revolves around Tawheed—explaining its meanings, affirming its implications, and guiding towards it. The verses of the Qur'an are either introducing Allah and His attributes, calling to His exclusive worship, prescribing commands and prohibitions related to Tawheed, describing the fate of the believers who uphold it, or warning against the consequences of shirk (polytheism).

Surah Qaf stands as a clear and powerful example of this theme. Its verses address profound matters of faith centered on the oneness of Allah. The Prophet Muhammad ﷺ used to frequently recite this surah in public gatherings, such as the Friday sermon, due to its heart-stirring meanings, spiritual impact, reminders of the Hereafter, and emphasis on Allah's ever-watchful presence, knowledge, and encompassing awareness of His creation.

Keywords: (Meanings – Monotheism – Surah Qaf).

سورة "ق" ودلالتها على التوحيد - عرض ودراسة

أ. د. علي بن عبد الرحمن القرعاوي

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبة أجمعين.... وبعد؛

فإن من رحمة الله –سبحانه وتعالى– أنه كلما عظُمت حاجة خلقه لأمر ما، تعددت وجوه الحصول عليه والسبل المؤدية إليه، ولاريب أن حاجة البشرية لمعرفة حقيقة التوحيد وهدايتهم إليه أعظم من حاجتهم للطعام والغذاء الذي به قوام أبدانهم، أو للماء الذي به ارتواؤهم، أو حتى للهواء الذي يتنفسونه وبه حياتهم، أو لأي أمر به قوام حياة أبدانهم وأجسامهم، لم لا وحياتهم الحقيقية وسعادتهم الأبدية ونجاتهم من مقت الله وسخطه وغضبه وأليم عقابه، وفوزهم برضوانه وجنته، كل ذلك منوط بتحقيق التوحيد الذي هو حق الله على جميع العبيد، فتحقيق التوحيد هو الذي به مادة الحياة الحقيقية –حياة القلوب وحياة الأرواح، وعليه مدار السعادة والنجاة في الدنيا والأخرة.

ولما كانت حاجة البشرية إلى دلالة معرفة توحيده في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته أعظمَ وأجل، كان كتابه الذي أنزله على خاتم رسله كلَّه في التوحيد، وكان تسهيل فهمه وتقريب معانيه والإعانة على تحقيق ما دل عليه ميسور لكل مهتد غير معاند ولا صاد عن سبيل الله وسبيل هدايته، وحول تلك المفاهيم قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد شاهدة به داعية إليه، فإن القرآن إمَّا خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله فهو التوحيد العلمي الخبري، وإمَّا دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع كل ما يعبد من دونه فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإمَّا أمر ونهي وإلزام بطاعته في نهيه وأمره فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإمَّا خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزاء توحيده، وإمَّا خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبى من العذاب فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد، فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم"(١).

(١) مدارج السالكين في منازل السائرين، ابن قيم الجوزية، (٤ /٤٤٩، ٤٥٠).

أهمية البحث:

تظهر أهمية الموضوع من جهة كونه امتداد تطبيقي لعناية الرسول صلى الله عليه وسلم بالتوحيد في الدعوة إلى الله تعالى، كما أنه يتعلق بأول واجب على المكلف ألا وهو توحيد الله تعالى، الذي به سعادة الناس في دنياهم وآخرتهم، لذا فإن في بيان حاجة البشرية إلى معرفة توحيده سبحانه وتعالى في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، إظهار لأعظمَ وأجل المطالب في كتاب الله، ألا وهو التوحيد، فما من آية من آيات القرآن الكريم إلا وهي متضمنة للتوحيد، شاهدة له وداعية إليه، وقد أكد العلماء على هذا المعنى، كما سبق في النص السابق(٢).

يقول الشيخ السعدي رحمه الله: "ومن كليات القرآن أنه يدعو إلى توحيد الله ومعرفته، بذكر أسماء الله، وأوصافه، وأفعاله الدالة على تفرُّده بالوحدانية، وأوصاف الكمال، وإلى أنه الحقُّ، وعبادته هي الحق، وأن ما يدعون من دونه هو الباطل، ويبين نقص كل ما عُبِد من دون الله من جميع الوجوه"(٣).

وهذا بحث مختصر في سورة "ق" ودلالتها على توحيد الله تعالى، وهي السورة التي كان النبي عليه الصلاة والسلام يحرص على قراءتها في المجامع العامة؛ خاصة في الجمعة لما تضمنته هذه السورة من المعاني العظيمة المتعلقة بتوحيد الله تعالى، أسال الله تعالى أن ينفع به وأن يدخر لي ثوابه في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

سبب اختيار الموضوع:

سبب اختيار الموضوع يكمن في أهمية هذه السورة، وما تضمنته من معانٍ جليلة في حق الله تعالى؛ الأمر الذي جعل النبي عليه الصلاة والسلام يحرص على قراءتها كثيرًا في المجامع العامة، مما يدعو إلى البحث

(٢) انظر: مدارج السالكين في منازل السائرين، ابن قيم الجوزية، (٤ /٤٤٩، ٤٥٠).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: (٥ /٤٩١)، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط١. مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

عن المسائل والمطالب التي تضمنتها هذه السورة الجليلة، والتي من أهمها: تحقيق التوحيد الذي هو حق الله على جميع العبيد، وبيان أدلته معانيه.

مشكلة البحث: تتمحور إشكالية البحث حول السؤال الرئيس الآتي:

ما دلائل التوحيد التي شملتها سورة ق؟ ويتفرّع منه عدّة أسئلة وهي:

- ما دلائل توحيد الربوبية في سورة ق؟
- ما دلائل توحيد الألوهية في سورة ق؟
- ما دلائل توحيد الأسماء والصفات في سورة ق؟

الدراسات السابقة:

هناك أبحاث عدة تناولت موضوعات العقيدة في سورة (ق) منها:

- عقيدة الإيمان باليوم الآخر في سور المفصل من سورة (ق) إلى سورة (الملك)، للباحثة: أمل بنت مبروك ناهس راشد؛ وهي رسالة ماجستير تقدمت بها الطالبة إلى قسم العقيدة في كلية التربية (بنات) جامعة جدّة، وذلك في عام ٢٠١١م.
- وأيضا أصول العقيدة من خلال سورة ق، للباحث أحمد شاكر عبدالله الحذيفي، وهي دراسات تناولت أركان العقيدة في سورة (ق). وهي رسالة ماجستير تقدم بها الطالب إلى قسم العقيدة بالجامعة الإسلامية، وذلك في عام ١٤٠٧هـ.

وغيرها من الدراسات، لكنها جاءت بصورة مختصرة في تناولها لدلائل التوحيد، وذلك بما يتناسب مع الدراسة التي تناولتها، أما هذا البحث فقد جاء مقتصرا على دلائل التوحيد في سورة (ق) فقط وبصورة أشمل وأوضح، وذلك أنه يجمع مسائل هذا الموضوع في بحث واحد، وبشكل مفصل.

منهج البحث:

لقد سلكت في جمع مادة هذا البحث؛ المنهج الاستقرائي؛ الذي يقوم على جمع النصوص الدلالة على التوحيد، بأنواعه وأدلته، وعرضها، ثم المنهج التحليلي الاستنباطي؛ وذلك بتحليل النصوص واستنباط أدلة التوحيد الواردة فيها.

أهداف البحث:

يظهر الهدف الرئيس من البحث من خلال بيان م بيان ما اشتملته هذه السورة الكريمة من دلائل على التوحيد وأنواعه، وتتمثل في الآتي:

- الوقوف على دلائل توحيد الربوبية في سورة: (ق).
- الوقوف على دلائل توحيد الألوهية في سورة: (ق).
- الوقوف على دلائل توحيد الأسماء والصفات في سورة: (ق).

خطة البحث: قسمت هذا البحث إلى:

- **مقدمة اشتملت على:(بيان أهمية البحث، وسبب اختياره، ومشكلة البحث، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وأهدافه)**
- **ثم التمهيد: ويتضمن التعريف بسورة ق وبيان فضلها وأهم الموضوعات التي تضمنتها، ثم بيان مقاصدها.**
- **المبحث الأول: دلائل توحيد الربوبية في هذه السورة.**
- **المبحث الثاني: دلائل توحيد الالوهية في هذه السورة.**
- **المبحث الثالث: دلائل توحيد الأسماء والصفات في هذه السورة.**
- **الخاتمة، وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث.**

سورة "ق" ودلالتها على التوحيد - عرض ودراسة

أ. د. علي بن عبد الرحمن القرعاوي

التمهيد

التعريف بسورة "ق"

سورة «ق» هي السورة الخمسون في ترتيب المصحف، أما ترتيبها في النزول فهي بعد سورة «المرسلات» وهي من السور المكية الخالصة، وعدد آياتها خمس وأربعون آية، وتسمى- أيضا- بسورة «الباسقات».

فضائل سورة ق:

دلَّ على فضل سورة ق ما يلي:

١- أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكثر من قراءتها على المنبر، فقد روى مسلم عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ: "أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ سَأَلَ أَبَا وَاقِدٍ اللَّيْثِيَّ: مَا كَانَ يَقْرَأُ بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْأَضْحَى وَالْفِطْرِ؟، فَقَالَ: كَانَ يَقْرَأُ فِيهِمَا بِـ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، وَاقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ"(٤).

وروى مسلم عَنْ أم هشام بِنْتِ حَارِثَةَ بْنِ النُّعْمَانِ قَالَتْ: "مَا حَفِظْتُ ق، إِلَّا مِنْ فِيِّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَخْطُبُ بِهَا كُلَّ جُمُعَةٍ".(٥)

قال النووي رحمه الله: "قَالَ الْعُلَمَاء: سَبَب اِخْتِيَار سورة (ق) أَنَّهَا مُشْتَمِلَة عَلَى الْبَعْث وَالْمَوْت وَالْمَوَاعِظ الشَّدِيدَة وَالزَّوَاجِر الْأَكِيدَة، وَفِيهِ اِسْتِحْبَاب قِرَاءَة سورة (ق) أَوْ بَعْضهَا فِي كُلّ خُطْبَة(٦).

وقال ابن كثير رحمه الله: "كَانَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ بِهَذِهِ السُّورَةِ فِي الْمَجَامِعِ

---

(٤) رواه مسلم، برقم (٨٩١).

(٥) المصدر السابق، برقم (٨٧٣).

(٦) صحيح مسلم بشرح النووي (٦/١٦١).

الْكِبَارِ، كَالْعِيدِ وَالْجُمَعِ، لِاشْتِمَالِهَا عَلَى ابْتِدَاءِ الْخَلْقِ ، وَالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ وَالْمَعَادِ وَالْقِيَامِ وَالْحِسَابِ، وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ والثواب والعقاب والترغيب والترهيب" (٧).

٢- سورة "ق" هي أول المفصل من القرآن كما ذكر ابن كثير رحمه الله في تفسيره. - فهي أول سورة في المفصل الذي أوتيه النبي - صلى الله عليه وسلم - نافلة فَفُضل به على سائر الأنبياء(٨)، فقد روى الإمام أحمد عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "أُعْطِيتُ مَكَانَ التَّوْرَاةِ السَّبْعَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الزَّبُورِ الْمَئِينَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الْإِنْجِيلِ الْمَثَانِيَ، وَفُضِّلْتُ بِالْمُفَصَّلِ"(٩)، وروى مسلم عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: "إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْرَأُ فِي الْفَجْرِ بِـ "ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ" وَكَانَ صَلَاتُهُ بَعْدُ تَخْفِيفًا"(١٠)، وفي رواية له: "كَانَ يَقْرَأُ فِي الْفَجْرِ بِـ "ق وَالْقُرْآنِ" وَنَحْوِهَا.(١١)

(٧) تفسير ابن كثير: (٣٦٧/٧).

(٨) المصدر السابق: (٣٩٢/٧).

(٩) رواه الإمام أحمد في مسنده، برقم: (١٦٩٨٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٤٨٠).

(١٠) رواه مسلم، برقم (٨٤٠).

(١١) المصدر السابق، برقم (٨٤١).

المبحث الأول

دلائل توحيد الربوبية في سورة ق

وفيه مطالب:

المطلب الأول: تعريف توحيد الربوبية:

الرب في اللغة له عدة معان؛ وهي: المالك، والسيد المطاع، والمدبر، والمُرَبِّي والقَيِّم، والمنعم، والمُتَمِّم، والمصلح للشيء[١٢]. وجاء في معجم مقاييس اللغة: الراء والباء تدل على أصول هي: إصلاح الشيء والقيام عليه، يقال: ربَّ فلانٌ ضَيعتَه؛ إذا قام على إصلاحها، والله جل ثناؤه الرب؛ لأنه مصلح أحوال خلقه[١٣].

أما توحيد الربوبية في الاصطلاح: فهو إفراد الله جل جلاله بالخلق والملك والتدبير[١٤].

أو هو إفراد الله بأفعاله، ومنها: الخلق، والرزق، والسيادة، والإنعام، والملك، والتدبير، والعطاء والمنع، والنفع والضر، والإحياء والإماتة...إلخ[١٥].

أو هو الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء، وأنه لا خالق، ولا رازق، ولا محيي ولا مميت، ولا موجد ولا معدم إلا الله تعالى[١٦].

---

(١٢) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس: (٣٨١/٢)، ولسان العرب، لابن منظور (٣٩٩/١)، وتاج العروس من جواهر القاموس، للمرتضى الزبيدي (٢/ ٤٥٩،٤٦٣).

(١٣) انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٣٨١/٢، ٣٨٢).

(١٤) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد، لابن عثيمين (١٢/١)،ومجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين، (٢٠/١).

(١٥) انظر: المفيد في مهمات التوحيد، لابن عثيمين، (ص:٦٣)، وأصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، لنخبة من العلماء، (ص: ١١).

(١٦) انظر: منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، (٢٨٩/٣)، ولوامع الأنوار البهية، للسفاريني، (١٢٨/١)، وتيسير العزيز

ومما سبق؛ يتضح أن ما ذكره أهل العلم في تعريف الربوبية؛ يؤدي إلى مضمون واحد وهو إفراد الله تعالى بأفعاله.

وهذا التوحيد حق لا ريب فيه، ولم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم، وإنما أنكره شواذ البشر؛ لأن القلوب مفطورة على الإقرار به أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات، كما قالت الرسل فيما حكى الله عنهم: ﴿قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [إبراهيم: ١٠] (١٧).

المطلب الثاني: الآيات المتعلقة بتوحيد الربوبية.

المسألة الأولى: معاني الربوبية في سورة ق، وهي ما يلي:

أ- الإقرار بأن الله تعالى خالق السموات والأرض.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ﴾ [ق: ٣٨].

ب- الإقرار بأن الله تعالى خالق الإنسان

قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ﴾ [ق: ٣٨].

ج- الإخبار على حسن تدبيره وعنايته بالمخلوقات.

قال تعالى: ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ٨ وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ٩ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ١٠ رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ﴾ [ق: ٦ - ١١].

الحميد في شرح كتاب التوحيد، لسليمان بن عبدالله بن عبدالوهاب (ص: ١٧)، وأعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، حافظ بن أحمد الحكمي (ص: ٢٣).

(١٧) انظر: شرح الطحاوية، لابن أبي العز (١/٢٥).

المسألة الثانية: دراسة الآيات:

دلت الآيات السابقة على أن السموات والأرض وما بينهما من مخلوقات، وكذلك خلق الإنسان من أعظم الدلائل على ربوبية الله تعالى، فالسموات والأرض وما بينهما من مخلوقات خلقها الله سبحانه وتعالى في ستة أيام دون أن يصيبه تعب أو ضعف أو إعياء. فالسموات والأرض وما فيهما من كواكب زاهرات ثابتات، وسيارات وأفلاك دائرات، والجميع مسخرات، وكم في الأرض من قطع متجاورات، وحدائق وجنات، وجبال راسيات، وبحار زاخرات، وأمواج متلاطمات، وقفار شاسعات، وكم من أحياء وأموات، وحيوان ونبات، وثمرات متشابهة ومختلفات في الطعوم والروائح والألوان والصفات، فسبحان الواحد الأحد، خالق أنواع المخلوقات، المتفرد بالدوام والبقاء والصمدية والأسماء والصفات، وغير ذلك(١٨)؛ كل ذلك للدلالة على أن خلق السموات والأرض من أعظم دلائل الربوبية؛ كما قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غَافِر: ٥٧].

وكذلك خلق الإنسان فإنه من أعظم الأدلة على وجود الخالق جل في علاه. يقول ابن الوزير(١٩) رحمه الله: "أما دلَالَة الأنفس فَإِنَّهَا بليغة"(٢٠).

- كما دعت الآيات إلى إعمال العقل والتأمل في "الْعَالم الْعلوِي وبنائه وارتفاعه واستوائه وَحسنه والتئامه، ثمَّ إِلَى الْعَالم السفلي؛ وَهُوَ الأَرْض، وَكَيف بسطها وهيّأها بالبسط لما يُرَاد مِنْهَا، وثبّتها بالجبال، وأودع فِيهَا الْمَنَافِع، وَأنْبت فِيهَا من كل صنف حسن من أَصْنَاف النَّبَات على اخْتِلَاف أشكاله وألوانه ومقاديره ومنافعه وَصِفَاته، وَأَن ذَلِك تبصرة إِذا تأمّلها العَبْد الْمُنِيب وتبصّر بهَا؛ تذكر مَا دلّت عَلَيْهِ مِمَّا أخْبرت بِهِ الرُّسُل من

(١٨) انظر: تفسير ابن كثير، (٤/٤١٨).

(١٩) ابن الوزير: (٧٧٥ – ٨٤٠ هـ)، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين، من آل الوزير: باحث مجتهد، من أعيان اليمن. وهو أخو الهادي بن إبراهيم. ولد في هجرة الظهران (من شطب: أحد جبال اليمن) وتعلم بصنعاء وصعدة ومكة. وأقبل في أواخر أيامه على العبادة، له كتب نفائس، منها: "إيثار الحق على الخلق" و"تنقيح الانظار في علوم الآثار" في مصطلح الحديث، و" قبول البشرى بالتيسير لليسرى" و"العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم"، انظر: الإعلام، للزركلي: (٥/٣٠٠).

(٢٠) إيثار الحق على الخلق، لابن الوزير اليمني، (ص: ٤٥).

التَّوْحِيد والمعاد. فالناظر فِيهَا يتبصّر أَولا ثمَّ يتَذَكَّر ثَانِيًا وَأَن هَذَا لَا يحصل إِلَّا لعبد منيب إِلَى الله بِقَلْبِه وجوارحه، ثمَّ دعاهم إِلَى التفكّر فِي مَادَّة أَرْزَاقهم وأقواتهم وملابسهم ومراكبهم وجناتهم وَهُوَ الماء؛ الَّذِي أنزلهُ من السَّمَاء وَبَارك فِيهِ حَتَّى أنبت بِهِ جنّات مُخْتَلفَة الثِّمَار والفواكه مَا بَين أَبيض وأسود وأحمر وأصفر وحلو وحامض، وَبَيّن ذَلِك مَعَ اخْتِلَاف منابعها وتنوع أجناسها وَأنْبت بِهِ"[٢١].

- وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عند ذكره لهذه الآيات: "فالآيات المخلوقة والمتلوة فيها تبصرة وفيها تذكرة: تبصرة من العمى وتذكرة من الغفلة؛ فيبصر من لم يكن عرف حتى يعرف ويذكر من عرف ونسي"[٢٢].
- كما أن في قوله تعالى ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٦ - ٨] "حجة في الاستدلال بالشاهد على الغائب[٢٣] -من قدرة الرب- وبالخلق على الخالق من صنعه"[٢٤].

المطلب الثالث: دلائل توحيد الربوبية في سورة (ق):

أدلة توحيد الربوبية في سورة (ق) كثيرة ومتنوعة، والقرآن مليء بذكر هذه الأدلة ومنها ما يلي:

أولاً: دلالة الفطرة: ومعنى ذلك أن الله سبحانه وتعالى فطر خلقه على الإقرار بربوبيته، وأنه الخالق، الرازق المدبر، المحيي المميت. وقد جعل الله لخلقه أشياء لو تأملوها وتفكروا فيها؛ لأرشدتهم إلى أن هناك خالقاً مدبراً لهذا الخلق أجمعين.

---

(٢١) الفوائد لابن القيم (ص: ٧).

(٢٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٣٦/٧).

(٢٣) استخدم أهل السنة والجماعة هذا النوع من القياس؛ ردًا على الأشاعرة في إثبات الصفات الخبرية لا سيما أن الكلام حرف وصوت في الشاهد وقاسوه على الغائب، وأهل السنة: لم يرفضوه مطلقًا ولم يقبلوه مطلقًا، بل فصلوه فيه، فإذا أُريد به بيان القدر المشترك الذي يُعقل به أصل الصفات (الكليات) دونما دخول في كنه الصفات؛ كان المعنى صحيحًا. انظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٣٢٦/٢)، شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (٦٧/١).

(٢٤) النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، لأحمد القصاب (١٨٩/٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "أهل الفطر كلهم متفقون على الإقرار بالصانع"(٢٥).

وقد تضمنت هذه السورة بعض الاستفهامات التقريرية المتعلقة بالربوبية، وبعض الأسئلة الوجودية الكبرى التي تندرج ضمن صور المعرفة الفطرية؛ كبناء السماء ورفعها، ومدّ الأرض وبسطها وتثبيتها بالجبال، وما ينبت فيها من الزروع، والثمار والنبات والأنواع.. إلخ.

يقول جل في علاه: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٦ - ٨].

فالآيات هنا تضمنت جملة من الأسئلة التقريرية التي تؤمن بها الفطر السليمة، وما غرسه الله فيها من معرفته.

ثانيًا: دلالة العقل: "فلأن هذه المخلوقات سابقها ولاحقها لابد لها من خالق أوجدها؛ إذ لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها، ولا يمكن أن توجد صدفة. لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها؛ لأن الشيء لا يخلق نفسه، لأنه قبل وجوده معدوم فكيف يكون خالقا؟ ولا يمكن أن توجد صدفة؛ لأن كل حادث لابد له من مُحدِث، ولأن وجودها على هذا النظام البديع، والتناسق المتآلف، والارتباط الملتحم بين الأسباب ومسبباتها، وبين الكائنات بعضها مع بعض يمنع منعًا باتًا أن يكون وجودها صدفة؛ إذ الموجود صدفة ليس على نظام في أصل وجوده، فكيف يكون منتظمًا حال بقائه وتطوره؟! وإذا لم يمكن أن توجد هذه المخلوقات نفسها بنفسها، ولا أن توجد صدفة؛ تعيَّن أن يكون لها موجد وهو الله رب العالمين"(٢٦).

يقول تعالى ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ [ق: ٦ - ١١]، ففي هذه الآيات استخدم القرآن الكريم دليلاً عقليًا

(٢٥) الفتاوى الكبرى، لابن تيمية (٦/٣٦٨).

(٢٦) شرح ثلاثة الأصول لابن عثيمين (ص: ٨٠ - ٨١).

فحواه؛ "كما يشاهدون الأرض الميتة ينزل عليها المطر فتحيا؛ إذن فالقادر على إحياء الأرض بعد موتها بنزول المطر عليها قادر على إحياء الأموات بعد موتهم، وهذا قياس جلي وواضح، كذلك الخروج[٢٧].

كما وجَّهت الآياتُ السابقةُ الإنسانَ بالتفكير واستعمال عقله فيما حوله من المخلوقات التي هي أثر من آثار قدرته تعالى، وخلق من خلقه الدالة على عظمته وقدرته، فالسموات والأرض وما فيهما من إبداع متناهٍ كل ذلك ﴿تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ﴾ [ق : ٨].

وقد تضمنت هذه الآيات القرآنية المنهج العقلي؛ من خلال ضرب الأمثال في مسألة الإنبات فشبَّهها بالبعث والنشور، حيث قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ﴾ [ق : ١١].

ثالثًا: دلالة الأنفس: النفس آيةٌ كبيرةٌ من آيات الله الدالة على ربوبيته، ولو أمعن الإنسان النظر في نفسه وما فيها من العجائب؛ لعلم أن وراء ذلك رباً حكيماً خالقاً قديراً.

والاستدلال بخلق الإنسان له أهمية وعناية بالغة في القرآن الكريم، قال شيخ الإسلام –رحمه الله–: "فالاستدلال على الخالق بخلق الإنسان؛ في غاية الحسن والاستقامة، وهي طريقة عقليّة صحيحة. وهي شرعيّة؛ دلّ القرآن عليها، وهدى النّاس إليها، وبيّنها وأرشد إليها. وهي عقليّة؛ فإنّ نفس كون الإنسان حادثاً بعد أن لم يكن، ومولوداً ومخلوقاً من نطفة، ثمّ من علقة، هذا لم يُعلم بمجرّد خبر الرسول، بل هذا يعلمه النّاس كلهم بعقولهم؛ سواء أخبر به الرسول، أو لم يُخبر. لكنّ الرسول أمر أن يُستدلّ به، ودلّ به، وبيّنه، واحتجّ به؛ فهو دليل شرعيّ؛ لأنّ الشارع استدلّ به، وأمر أن يُستدلّ به؛ وهو عقليّ؛ لأنّه بالعقل تُعلم صحته"[٢٨].

وفي هذا الأمر – أيضًا – قال ابن القيم: "وهذا كثيرٌ في القرآن؛ يدعو العبدَ إلى النظر والفِكْر في مبدأ خلقه ووسطه وآخره؛ إذ نفسُه وخلقُه من أعظم الدَّلائل على خالقه وفاطره، وأقربُ شيءٍ إلى الإنسان نفْسُه، وفيه

(٢٧) انظر: تفسير القرآن الكريم، لابن عثيمين (ص: ٨٢).

(٢٨) النبوات لابن تيمية (٢٩٢/١).

من العجائب الدَّالَّة على عظمة الله ما تنقضي الأعمارُ في الوقوف على بعضه؛ وهو غافلٌ عنه، مُعرِضٌ عن التفكُّر فيه، ولو فكَّر في نفسه لزجرهُ ما يعلمُ من عجائب خَلْقِها عن كُفْرِه"(٢٩).

وقد صرّح بعض العلماء بوجوب النظر في خلق الإنسان، قال الشنقيطي رحمه الله(٣٠): "وكذلك يجب على الإنسان النظر في الشيء الذي خُلِق منه؛ لقوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾ [الطَّارِق: ٥]، وظاهر القرآن: أن النظر في ذلك واجب، ولا دليل يصرف عن ذلك"(٣١).

وقد تضمنت (سورة ق) هذه الدلالة، يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ .. إلى قوله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ١٦- ٣٥].

ففي هذه الآية بيان خلق الله تعالى لهذا الإنسان، وعلمه تعالى بجميع أحواله؛ منذ ولادته إلى موته إلى أن ينتهي بالبعث والحساب ثم إلى الجنة أو إلى النار.

رابعًا: دلالة الآفاق: إن من أعظم الدلائل على ربوبية الله عز وجل؛ خلق السموات والأرض، كما قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غَافِر: ٥٧].

وهذه الدلالة ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم بقوله: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ﴾ [فُصِّلَت: ٥٣]، وهي من آيات الله الدالة عليه؛ "إذ إن من آيات الله الدالة عليه، دلالة الآفاق وما في هذا الكون من سماء وأرض، وما اشتملت عليه السماء من نجوم وكواكب وما اشتملت عليه الأرض من جبال وأشجار وأنهار وغيرها، مما

(٢٩) مفتاح دار السعادة، لابن القيم (٢/٥٣٩).

(٣٠) هو: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الشنقيطي الجكني الحميري، ولد سنة ١٣٢٥هـ في شنقيط، كان بحرا لا ساحل له في العلم والحفظ والإتقان، له مصنفاته غزيرة، منها: "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن"، و"منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز"، و"دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب"، وغيرها، توفي رحمه الله في مكة في ١٧ ذي الحجة، ودفن بها في مقبرة المعلاة بريع الحجون سنة ١٣٩٣هـ، انظر: مقدمة تفسيره: "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" (ص١٩- ٣٧).

(٣١) المصدر السابق (٢/٣٣٨).

خلق الله في السموات والأرض. فلو تأملها الإنسان وتأمل صنيعها وإتقانها لدلته وأرشدته إلى أن هناك خالقاً لهذه الأكوان وأنه عليم حكيم"[٣٢].

وقد تضمنت السورة ما يدل على هذه الدلالة، بما يلي:

- تارة تأتي تنبيهًا على الخلق؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق : ٣٨].
- وتارة تأتي تنبيهًا على العناية والإتقان؛ كقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾[ق : ٦ - ١١].

خامسًا: دلالة دلائل النُّبوّة على الربوبية:

إن الاستدلال بدلائل النبوة على الربوبية تشمل عدة أمور أهمها: آيات الأنبياء التي يظهرها الله تعالى على أيديهم؛ تصديقًا لهم في دعوى الرسالة، وتسمى أيضًا بالمعجزات، كما تشمل أيضًا كرامات الأولياء التي يظهرها الله تعالى على أيدي أتباع الرسل؛ إكراماً لهم، وهي أيضًا من جنس آيات الرسل وامتداد لها؛ إذ هي شاهدة بصدقهم، ويتبع ذلك حصول العاقبة والنصر للرسل وأتباعهم باطراد، مع قلة العَدد والعُدد، ومن دلائل النبوة أيضًا؛ ما يحصل لعباد الله المؤمنين من إجابة الدعوات، وكشف الكربات، وإغاثة اللهفات .. وغير ذلك[٣٣].

يقول ابن الوزير رحمه الله: " وَأما دلَالَة المعجزات؛ فَهِيَ من أقوى الدلالات وأوضح الْآيَات؛ لجمعها بَين أَمريْن واضحين لم يكن نزاع المبطلين إِلَّا فيهمَا أَو فِي أَحدهمَا وهما: الْحُدُوث الضَّرُورِيّ والمخالفة للطبائع

(٣٢) الشيخ عبدالرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة لعبدالرزاق بن عبدالمحسن العباد (ص: ٨٠).

(٣٣) انظر: الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، سعود بن عبدالعزيز محمد العريفي: (ص: ٣٠٠-٣٠٥).

والعادات، وهذا هو الذي أَرَاهُ الله خَلِيله عَلَيْهِ السَّلَام حِين سَأَلَ الله طمأنينة قلبه، وَالَّذِي احْتج بِهِ مُوسَى الكليم عَلَيْهِ السَّلَام على فِرْعَوْن وَسَمَاهُ شَيْئا مُبينًا كَمَا حَكَاهُ الله تَعَالَى فِي سُورَة الشُّعَرَاء حَيْثُ قَالَ فِرْعَوْن ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٢٩] قَالَ مُوسَى ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ۝٣٠ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٣١ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ۝٣٢ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٣٠ - ٣٣] إِلَى قَوْله ﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَجِدِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٤٦]، وكل مَا تَعَارَضَت فِيهِ أنظار الْعُقَلَاء وقدحت فِيهِ شكوك الأذكياء فَلَا شكّ أَن لأهل الاسلام من ذَلِك الْقدح الْمُعَلَّى فِي اثبات الصَّانِع الْحَكِيم تَعَالَى، وعَلى كل حَال فالنبوات وآياتها الْبَيِّنَة ومعجزاتها الباهرة وخوارقها الدامغة أَمر كَبِير وبرهان مُنِير مَا طرق الْعَالم لَهُ معَارض الْبَتَّة خصوصًا مع قدمه وتواتره.. ثم اعتضد ذلك بأمرين؛ أحدهما: استمرار نصر الأنبياء في عاقبة أمرهم وإهلاك أعدائهم بالآيات الرائعة، وثانيهما: سلامتهم واتباعهم ونجاتهم على الدوام من نزول العذاب عليهم كما نزل على أعدائهم ولا مرة واحدة"(٣٤).

ومما جاء في هذه السورة في هذا السياق قول الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ۝١٢ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ۝١٣ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ [ق: ١٢ - ١٤].

قال ابن القيم رحمه الله: "ثم انتقل سبحانه إلى تقرير النبوة بأحسن تقرير، وأوجز لفظ، وأبعده عن كل شبهة وشك، فأخبر أنه أرسل إلى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم فرعون رسلًا فكذبوهم، فأهلكهم بأنواع الهلاك، وصدق فيهم وعيده الذي أو عدتهم به رسلُه إن لم يؤمنوا، وهذا تقرير لنبوتهم ولنبوة من أخبر بذلك عنهم من غير أن يتعلم ذلك من معلم ولا قرأه في كتاب، بل أخبر به إخبارًا مفصلًا مطابقًا لما عند أهل الكتاب. ولا يرد على هذا إلا سؤال البهت والمكابرة على جحد الضروريات، بأنه لم يكن شيء من ذلك أو أن حوادث الدهر ونكباته أصابتهم كما أصابت غيرهم، وصاحب هذا السؤال يعلم من نفسه أنه باهت مباحث جاحد لما شهد به العيان وتناقلته القرون قرنًا بعد قرن"(٣٥).

(٣٤) إيثار الحق على الخلق، لابن الوزير: (ص: ٥٤- ٥٥).

(٣٥) الفوائد، لابن القيم (ص: ٨).

ثم ختمت السورة بقوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ۝٣٦ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق : ٣٦ - ٣٧] ؛ حيث ختمت بتوكيد القضايا التي تناولتها؛ ومنها هذه القضية، فتذكر القلوب بمصارع الهالكين، وأحوالهم، وتنصُّ على أن ما حلّ بالكفار من هذا العذاب الدنيوي قبل العذاب الأخروي؛ هو من آيات الربوبية، مع كونه من أعظم علامات صدق الرسل. فالله سبحانه وتعالى أبقى في العالم الآثار الدالة على ما فعله بأنبيائه والمؤمنين من الكرامة، وما فعله بمكذبيهم من العقوبة، وذلك أيضا معلوم بالتواتر كتواتر الطوفان وإغراق فرعون وجنوده[٣٦].

المطلب الرابع: مظاهر الشرك في الربوبية من خلال هذه السورة:

توحيد الربوبية لم ينازع في أصله أحد من بني آدم، فهو أمر مركوز في الفطر، مجبولة عليه النفوس، متكاثرة على تقريره الأدلة، وقد أقرّ به قوم نوح، وقوم هود وقوم صالح، وأقرّ به مشركو العرب كما أخبر جل وعلا بقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لُقْمَان : ٢٥].

ويمكن تلخيص مظاهر الانحراف في هذا الباب بما يلي[٣٧]:

١- جحد ربوبية الله أصلًا، وإنكار وجوده سبحانه، كما يعتقد ذلك الملاحدة الذين يسندون إيجاد هذه المخلوقات إلى الطبيعة، أو إلى تقلب الليل والنهار، أو نحو ذلك ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجَاثِيَة : ٢٤].

٢- جحد بعض خصائص الرب سبحانه وإنكار بعض معاني ربوبيته؛ كمن ينفي قدرة الله على إماتته أو إحيائه بعد موته، أو جلب النفع له أو دفع الضر عنه، أو نحو ذلك.

(٣٦) انظر: شرح العقيدة الأصفهانية، لابن تيمية (ص: ١٥٠)، والنبوات لابن تيمية (١/٢٠٥) وما بعدها.

(٣٧) انظر: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء (ص: ٢١).

٣- إعطاء شيء من خصائص الربوبية لغير الله سبحانه، فمن اعتقد وجود متصرف مع الله عز وجل في أي شيء من تدبير الكون من إيجاد، أو إعدام، أو إحياء أو إماتة أو جلب خير أو دفع شر أو غير ذلك من معاني الربوبية؛ فهو مشرك بالله العظيم.

فالشرك في الربوبية: "هو صرف خصائص الربوبية كلها، أو بعضها لغير الله عز وجل، أو تعطيله عز وجل عنها بالكلية"(٣٨). والشرك في الربوبية نوعان؛ شرك تعطيل، وشرك تمثيل.

النوع الأول: شرك التعطيل: وهو أقبح أنواع الشرك، وأصل الشرك وقاعدته التي يرجع إليها، وهو ثلاثة أقسام(٣٩):

- تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه.
- وتعطيل الصانع سبحانه عن كماله المقدس، بتعطيل أسمائه وصفاته وأفعاله.
- وتعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد.

ومن أمثلته(٤٠):

١- شرك فرعون. إذ قال: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٢٣]

٢- ومن هذا؛ شرك الفلاسفة القائلين: بقدم العالم وأبديته، وأنه لم يكن معدومًا أصلاً، بل لم يزل ولا يزال، والحوادث بأسرها مستندة عندهم إلى أسباب ووسائط اقتضت إيجادها، يسمونها: العقول، والنفوس(٤١).

---

(٣٨) المفيد في مهمات التوحيد، د. عبدالقادر عطا صوفي: (ص: ١١٢).

(٣٩) انظر: الداء والدواء، لابن القيم (ص: ١٣٠).

(٤٠) انظر: الداء والدواء لابن القيم (ص: ١٣٠)، تيسير العزيز الحميد، سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب (ص: ٢٦).

(٤١) انظر: الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي: (ص: ٣٤٦)، والاقتصاد لأبي حامد الغزالي (ص: ٦٣)، والملل والنحل، للشهرستاني (١/٧١).

٣- ومن هذا شرك طائفة أهل وحدة الوجود، كابن عربي، وابن سبعين، والعفيف التلمساني، وابن الفارض، ونحوهم الذين يقولون: ما ثم خالق ومخلوق ولا هاهنا شيئان، بل الحق المنزه هو عين الخلق المشبه(٤٢).

قال ابن القيم رحمه الله: وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- يحكي عن بعض العارفين أنه قال: العامة يعبدون الله، وهؤلاء يعبدون نفوسهم"(٤٣).

٤- ومن هذا شرك من عطّل أسماء الرب وأوصافه، من غلاة الجهمية، والقرامطة؛ فلم يثبتوا له اسمًا ولا صفة، بل جعلوا المخلوق أكمل منه، إذ كمال الذات بأسمائها وصفاتها.

٢- شرك التمثيل(٤٤):

تعريفه: هو التسوية بين الله وخلقه في شيء من خصائص الربوبية، أو نسبتها إلى غيره عز وجل.

ومن الأمثلة على ذلك:

- شرك النصارى الذين اتخذوا مع الله أربابًا، فجعلوه ثالث ثلاثة.
- وشرك المجوس القائلين بأن للعالم ربين أحدهما خالق للخير، والآخر خالق للشر.
- وشرك الصابئة الذين زعموا أن الكواكب هي المدبرة لأمر العالم.
- وشرك القدرية "الذين وصفهم النبي بأنهم مجوس هذه الأمة"(٤٥) القائلين: بأن كل إنسان يخلق فعل نفسه.
- وشرك عبّاد القبور الذين يزعمون أن أرواح الأولياء تتصرف بعد الموت؛ فتقضي الحاجات، وتُفرَّج الكربات، وتنصر من دعاها، وتحفظ من لاذ بحماها، ومثلهم مزاعم غلاة الصوفية في الأولياء: أنهم ينفعون، ويضرون، ويتصرفون في الأكوان(٤٦).

---

(٤٢) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٥٩/١٠).

(٤٣) مدارج السالكين، لابن القيم (٢٧٢/١).

(٤٤) انظر: المفيد في مهمات التوحيد، د. عبدالقادر عطا صوفي (ص: ١١٣).

(٤٥) رواه أبو دواد "كتاب السنة" "باب في القدر" برقم (٤٦٩١) بلفظ: "القدرية مجوس هذه الأمة".

(٤٦) انظر: المفيد في مهمات التوحيد، د. عبدالقادر عطا صوفي (ص: ١١٣).

وقد تضمنت (سورة ق) نماذج من مظاهر انحرافات بعض الأمم في توحيد الربوبية ووقوعهم في الشرك؛ منها:

الشك في البعث بعد الموت:

يقول الله عز وجل عن حال الكافرين والمكذبين بنوة محمد صلى الله عليه وسلم والمنكرين للبعث بعد موتهم(٤٧): ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ [ق : ٣].

فهذه الآية فيها دلالة على إنكارهم قدرة الله تعالى في إحياء الموتى والبعث بعد الموت؛ وهذه صفة من الصفات التي اختص الله بها نفسه دون سواه، بل هي من أبرز الصفات الدالة على ربوبيته جل في علاه، ولمّا كانت هذه الصفة من أكبر البراهين على ربوبيته سبحانه وتعالى؛ احتجّ بها أبو الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام على خصمه بقوله: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البَقَرَة : ٢٥٨].

وفي السورة أيضا دلالة على قُدرته تعالى على البعث، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق : ٦] ، أي: كيف بنيناها بغير عمد وَزَيَّنَّاها بالكواكب وَما لَها مِنْ فُرُوجٍ أي: من صُدوع وشُقوق، ثم قال تعالى: ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق : ٨] ، قال الزجاج(٤٨): أي: فَعَلنا ذلك لِنُبَصِّر ونَدُلَّ على القُدرة، والمنيب: الذي يَرْجِع إلى الله ويفكِّر في قُدرته(٤٩).

(٤٧) انظر: تفسير الطبري (٣٢٨/٢٢).

(٤٨) إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (٢٤١ – ٣١١ هـ)، عالم بالنحو واللغة. ولد ومات في بغداد، مال إلى النحو فعلمه المبرد. وطلب عبيد الله بن سليمان (وزير المعتضد العباسي) مؤدبا لابنه القاسم، فدله المبرد على الزجاج، فطلبه الوزير، فأدب له ابنه إلى أن ولي الوزارة مكان أبيه، فجعله القاسم من كتابه، من كتبه (معاني القرآن) و(الاشتقاق) و(خلق الإنسان) و(الأمالي) في الأدب واللغة، انظر: الإعلام للزركلي، (٤٠/١).

(٤٩) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (١٥٨/٤)، وانظر: معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج، (٤٣/٥)، وانظر: انظر: التفسير الميسر، لنخبة من أساتذة التفسير، (٥٢٠/١).

المبحث الثاني

دلائل توحيد الألوهية في سورة ق

وفيه مطالب:

المطلب الأول: التعريف بتوحيد الألوهية:

الإله في اللغة: الهمزة واللام والهاء أصل واحد وهو التعبد. فالإله في اللغة معناه المألوه وهو المعبود، والإله هو الله عز وجل، وكل ما اتخذ معبودًا، فهو إله عند متخذه. والجمع آلهة، والآلهة: الأصنام سموها بذلك؛ لاعتقادهم أن العبادة تحق لها. والتأليه التعبيد، والتّألّه التَّنسّك والتَّعبّد(٥٠).

وأما تعريف توحيد الألوهية في الاصطلاح: فهو إفراد الله تعالى بالعبادة(٥١)(٥٢).

أو هو إفراد الله تعالى بأفعال العباد؛ كالدعاء والخوف والرَّجاء والتوكُّل والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة وغيرها من أنواع العبادة التي يجب إفراده بها سبحانه(٥٣).

---

(٥٠) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر الجوهري: (٢٢٢٣/٦)، مقاييس اللغة لابن فارس (١٢٧/١)، لسان العرب لابن منظور (٤٦٧/١٣)، القاموس المحيط، مجد الدين الفيروزآبادى: (ص: ١٢٤٢)، تاج العروس للمرتضى الزبيدي (٣٢١/٣٦- ٣٢٤).

(٥١) عرفها الطبري: في تفسيره "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" فقال: "العبادة: الخضوع لله بالطاعة، والتذلل له بالاستكانة"، (٣٦٢/١- ٣٦٣)، وعرفها شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى، بقوله: "العبادة: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة" (١٠/ ١٤٩).

(٥٢) انظر: مجموعة الرسائل والمسائل، لابن تيمية (٤/١)، معارج القبول بشرح سلم الوصول، لحافظ حكمي (٤٠٢/٢).

(٥٣) انظر: الرسالة المفيدة، لمحمد بن عبدالوهاب (ص: ٤١)، وتطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، للشوكاني (ص: ٩).

أو هو إفراد الله تعالى بالعبادة، والتأله له، والخضوع والذل، والحب والخوف والافتقار، والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة والتوجه إليه والدعاء له وحده، وعدم صرف ذلك لغيره؛ من ملك، أو رسول، أو نبي، أو ولي، أو شجر، أو حجر، أو شمس، أو قمر، أو غير ذلك كائناً من كان(٥٤).

أو هو إفراد الله ﷻ بجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة قولًا وعملًا، ونفي العبادة عن كل ما سوى الله تعالى كائنًا من كان، كما قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] (٥٥)

وهذه التعريفات مع تعدد صيغها تحمل مضمونًا واحدًا وهو: إفراد الله تعالى بالعبادة وترك عبادة ما سواه.

قال ابن القيم – رحمه الله–: "فإن الإله هو المستحق لصفات الكمال المنعوت بنعوت الجلال، وهو الذي تُألّهُهُ القلوب، وتصمد إليه بالحب والخوف والرجاء.

فالتوحيد الذي جاءت به الرسل، هو إفراد الرب بالتأله؛ الذي هو كمال الذل والخضوع والانقياد له، مع كمال المحبة والإنابة وبذل الجهد في طاعته ومرضاته، وإيثار محابه ومراده الديني على محبة العبد ومراده"(٥٦).

وقال ابن أبي العز: "وهو استحقاقه ﷻ أن يُعبد وحده لا شريك له"(٥٧).

وهذا النوع من أنواع التوحيد هو الذي من أجله خلق الله الخلق، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذَّاريَات: ٥٦]، ولأجله أرسل الرسل، وأنزل الكتب، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النَّحل: ٣٦].

والمعنى الشرعي لكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) عند أهل السنة والجماعة؛ هو أنه لا معبود بحق إلا الله

---

(٥٤) انظر: لوامع الأنوار البهية، للسفاريني (١/١٢٨)، تيسير العزيز الحميد لسليمان بن عبدالله بن عبدالوهاب (ص: ١٩)، تقريب التدمرية، لابن عثيمين (ص: ١١١).

(٥٥) انظر: أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة لحافظ حكمي (ص: ١٩).

(٥٦) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن القيم (ص: ١٣٩)،.

(٥٧) شرح الطحاوية، لابن أبي العز (١/٢٤).

تعالى(٥٨). وهي متركِّبةٌ من نفي وإثبات؛ فمعنى النفي منها: خلع جميع أنواع المعبودات غير الله كائنة ما كانت في جميع أنواع العبادات كلها، ومعنى الإثبات: إفراد الله جلَّ وعلا وحده بجميع أنواع العبادات بإخلاص، على الوجه الذي شرعه الله على ألسنة رسله عليهم الصلاة والسلام(٥٩).

وللعبادة شرطان(٦٠):

أحدهما: الإخلاص لله عز وجل بأن لا يريد العبدُ بها سوى وجه الله والوصول إلى دار كرامته، وهذا من تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله.

الثاني: المتابعة للرسول الله صلى الله عليه وسلم بأن لا يُتعبد لله تعالى بغير ما شرعه عليه الصلاة والسلام، وهذا من تحقيق شهادة أن محمداً رسول الله.

فالمشرك في العبادة لا تصح عبادته ولا تقبل منه لفقد الشرط الأول. والمبتدع فيها لا تقبل منه ولا تصح لفقد الشرط الثاني، وقد دل على هذين الشرطين كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم(٦١):

فمن الأدلة على اشتراط الإخلاص قوله تعالى: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ﴾ [الزُّمَر: ٢ - ٣]. وقوله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البَيِّنَة: ٥]، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة المتنوعة الدلالة.

ومن الأدلة قوله صلى الله عليه وسلم: "إنما الأعمال بالنية وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن هاجر إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه"(٦٢).

---

(٥٨) انظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبدالرحمن آل الشيخ (ص: ٣٦)، ومعارج القبول لحافظ حكمي (٤١٦/٢).

(٥٩) انظر: تطهير الاعتقاد لابن الأمير الصنعاني (ص: ١٦).

(٦٠) انظر: أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة لحافظ حكمي (ص: ٨)، جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، لأبي عبد الله شمس الدين الأفغاني: (٣٤٣/١)، تقريب التدمرية لابن عثيمين (ص: ١١٣).

(٦١) تقريب التدمرية لابن عثيمين (ص: ١١٣- ١١٤).

(٦٢) رواه البخاري، برقم (١)، ومسلم برقم (١٩٠٧).

ومن الأدلة على اشتراط المتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام : ١٥٣] وقوله: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عِمْرَان : ٨٥]. وقوله في وصف النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف : ١٥٧] ، وقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، غير ذلك من الآيات الكثيرة المتنوعة الدلالة.

ومن الأدلة: ما أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد"(٦٣). أي: مردود.

وقد جمع الله تعالى هذين الشرطين في قوله سبحانه ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف : ١١٠] .

والعبادات كثيرة؛ فمنها: الصلاة، والدعاء، والخوف، والرجاء، والتوكل، والرغبة، والرهبة، والخشوع، والخشية، والإنابة، والاستعانة، والاستعاذة، والاستغاثة، والذبح، والنذر، وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله تعالى بها عباده.

المطلب الثاني: الآيات المتعلقة بتوحيد الألوهية ودراستها.

قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ [ق : ٦ - ١١] . وقال تعالى: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ [ق

(٦٣) رواه بهذا اللفظ أحمد في المسند، برقم (٢٥٠٠٨)، ورواه البخاري: بلفظ: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"، برقم (٢٦٩٧) ومسلم (ج ٣/ ص ١٣٤٣) وأبو داود، برقم (٤٦٠٦).

: ٣٢]. وقال تعالى: ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق : ٣٣]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق : ٤٤ - ٤٥].

فالآيات السابقة اشتملت على بعض أنواع العبادة التي لا يجوز صرفها إلا لله تعالى:

العبودية لله وصف شرف ومدح وليست انتقاصًا أو ذمًا. وقد وصف الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم والأنبياء قبله بهذا الوصف، وحتى الملائكة وصفوا بذلك، قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البَقَرَة: ٢٣] ، فما قال: على رسولنا، وقال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسْرَاء : ١] ، وقال: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجِن : ١٩] وقال سبحانه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الكَهف : ١] ، وقال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفُرْقَان : ١] ، وقال: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النَّجم : ١٠] ، والآيات في ذلك كثيرة.

وقد استحق رسولنا صلى الله عليه وسلم بهذه الصفة التقديم على الناس في الدنيا والآخرة. ولذلك يقول المسيح عليه السلام يوم القيامة، حينما تطلب منه الشفاعة بعد الأنبياء عليهم "ائْتُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَبْدًا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ"(٦٤)، ولم يقل: (رسول)، وذلك لأن العبودية هي الصفة الأصلية للخلق، فحصلت له تلك المرتبة بتكميل عبوديته لله تعالى.

وقد وُصف بها الأنبياء قبله، قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ﴾ [ص : ١٧]، ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ﴾ [ص : ٤١]، ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [ص : ٤٥]، كلهم وصفهم الله بأنهم عبيد وعباد وواحدهم عبد.

وقد حكى الله عن عيسى إقراره بالعبودية له أول ما تكلم وهو في المهد، فقال عنه أنه قال: ﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾ [مَرْيَم: ٣٠]، وقال عنه في آخر سورة النساء: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن

(٦٤) رواه البخاري، باب قول الله: {وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا}، برقم (٤٤٧٦).

يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ﴾ [النِّسَاء: ١٧٢] أي: لا يأنف من العبودية، بل يراها صفة شرف، وكذلك وصف بها الملائكة المقربين فقال سبحانه: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [النِّسَاء: ١٧٢]، فالملائكة أيضاً لا يستنكف أحدهم أن يكون عبداً لله، فقد وصفهم الله بذلك في قوله تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦ - ٢٧] ، فأول ما وصفهم الله به أنهم عباد، يعني أنهم مملوكون لله، وقد وصف الله جميع الخلق بذلك في قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مَرْيَم: ٩٣] (٦٥).

وإذا كان الأمر كذلك؛ فإن "كمال المخلوق؛ في تحقيق عبوديته لله تعالى، وكلما ازداد العبد تحقيقا للعبودية؛ ازداد كماله وعَلَت درجتُه، ومن توهم أن المخلوق يخرج عن العبودية بوجه من الوجوه، وأن الخروج عنها أكمل؛ فهو من أجهل الخلق وأضلهم" (٦٦).

والعبودية نوعان: عبودية كونية، وعبودية شرعية.

فالعبودية الكونية: يدخل فيها جميع الخلائق مؤمنهم وكافرهم، حتى إبليس اللعين القائل: ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الحِجْر: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ﴾ [النَّحْل: ٤٨].

والعبودية الشرعية: هي التي من أجلها أرسلت الرسل وأنزلت الكتب، واعترف إبليس بأنه ليس له سلطان على أهلها بقوله ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [الحِجْر: ٤٠].

ويمكن أن يقال: إن العبودية عامة وخاصة:

- **فالعبودية العامة:** هي الخضوع لأمر الله الكوني؛ كقوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مَرْيَم: ٩٣].

---

(٦٥) شرح الطحاوية للأرناؤوط (١/١٣٩).

(٦٦) انظر: المرجع السابق.

- **والعبودية الخاصة**: هي الخضوع لأمر الله الشرعي، وهي خاصة بالمؤمنين؛ كقوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾ [الفُرقَان : ٦٣]، وقوله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ﴾ [الفُرقَان : ١]، وهذه أخص من الأولى(٦٧).

والمراد بالعبودية هنا؛ هي العبودية الخاصة، ومقتضاها ومدارها؛ الذل لله تعالى والخضوع له، وذلك أن العبد العابد متى شعر بأنه عبد لله ومملوك له، وأن ربه المالك له يتصرف فيه كما يشاء، وأنه لا يملك التصرف بنفسه ولا لنفسه، ومتى شعر بأنه مخلوق مربوب ليس هو الذي خلق نفسه، ومتى شعر بأن خالقه على كل شيء قدير، ومتى شعر بأن ربه صادق الوعد فيما وعده به، ومتى شعر بأن ربه سبحانه قد وعده على الطاعة بالجزاء الأوفر وتوعده على المعصية بالعقاب الأكبر، إذا شعر بذلك ونحوه خضع لربه وخشع له، إذ التعبد التذلل والخضوع. فأصل العبودية الذل، ومنه سمي العبد المملوك عبداً؛ لأنه ذليل لمالكه وسيده(٦٨).

وللعبادة ثلاثة أركان هي: الحبُّ والخوفُ والرجاء:

فالحب مع الذّل، والخوف مع الرجاء، ولا بد في العبادة من اجتماع هذه الأمور، قال تعالى في وصف عباده المؤمنين: ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المَائِدَة : ٥٤]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ﴾ [البَقَرَة : ١٦٥]. وقال في وصف رُسُله وأنبيائه: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأَنبِيَاء : ٩٠](٦٩). وقد نقل شيخ الإسلام عن بعض السلف قولهم: "من عبد الله بالحب وحده؛ فهو زنديق، ومن عبده بالرجاء وحده؛ فهو مرجئ، ومن عبده بالخوف وحده؛ فهو حروري، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء؛ فهو مؤمن مُوحِّد(٧٠).

(٦٧) شرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين (٢/٢٢٠).

(٦٨) شرح الطحاوية، لابن جبرين (١٤/٤).

(٦٩) عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك، صالح الفوزان: (ص: ٥٦).

(٧٠) العبودية، لابن تيمية (ص: ١١٢).

ومن العبادات التي ورد ذكرها في هذه السورة:

أولًا: الإنابة لله تعالى:

والإنابة في اللغة: الرجوع، أي الرجعة إلى الشيء بعد الإدبار عنه. "فالنون وَالْوَاوُ وَالْبَاءُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ تَدُلُّ عَلَى اعْتِيَادِ مَكَانٍ وَرُجُوعٍ إِلَيْهِ. وَنَابَ يَنُوبُ، وَانْتَابَ يَنْتَابُ. وَيُقَالُ إِنَّ النُّوَبَ: النَّحْلُ، قَالُوا: وَسُمِّيَتْ بِهِ لِرَعْيِهَا وَنَوْبِهَا إِلَى مَكَانِهَا"(٧١).

وفي الاصطلاح: "الإنابة الرجوع إلى الله بالقيام بطاعته واجتناب معصيته وهي قريبة من معنى التوبة إلا أنها أرق منها لما تشعر به من الاعتماد على الله واللجوء إليه ولا تكون إلا لله تعالى"(٧٢).

وقد أمر الله تعالى بها في كتابه، وأثنى على خليله بها، فقال: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ﴾ [الزُّمَر: ٥٤] وَقَالَ ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ﴾ [هُود: ٧٥] وأخبر أنه لا يتبصر بآياته ولا يتذكر بها إلا أهل الإنابة، فقال: ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا﴾ [ق: ٦] إلى أن قال: ﴿تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ﴾ [ق: ٨] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ [غَافِر: ١٣] وقال تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الرُّوم: ٣١]، وأخبر أن ثوابه وجنته لأهل الخشية والإنابة، فقال: ﴿وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٖ ٣١ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٖ ٣٢ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ٣٣ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ﴾ [ق: ٣١ - ٣٤]، وأخبر سبحانه أن البشرى منه إنما هي لأهل الإنابة، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ﴾ [الزُّمَر: ١٧] (٧٣).

---

(٧١) مقاييس اللغة، لابن فارس (٣٦٧/٥).

(٧٢) شرح ثلاثة الأصول، لابن عثيمين (ص: ٦١).

(٧٣) مدارج السالكين، لابن القيم (٤٣٢/١).

والإنابة إنابتان:

- إنابة لربوبيته: وهي إنابة المخلوقات كلها، يشترك فيها المؤمن والكافر، والبر والفاجر، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ [الرُّوم: ٣٣]، فهذا عام في حق كل داعٍ أصابه ضر، كما هو الواقع، وهذه الإنابة لا تستلزم الإسلام. بل تكون مع الشرك والكفر.
- والإنابة الثانية إنابة أوليائه: وهي إنابة لإلهيته، إنابة عبودية ومحبة. وهي تتضمن أربعة أمور: محبته، والخضوع له، والإقبال عليه، والإعراض عما سواه، فلا يستحق اسم المنيب إلا من اجتمعت فيه هذه الأربع، وتفسير السلف لهذه اللفظة يدور على ذلك(٧٤).

ثانيًا: الأواب:

الأوّاب: فيه سبعة أقوال: قال قوم: الأواب: الراحم، وقال قوم: الأواب: التائب، وقال سعيد بن جبير: الأواب: المسبح، وقال ابن المسيب: الأواب: الذي يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب، وقال قتادة: الأواب: المطيع، وقال عبيد بن عمير: الذي يذكر ذنبه في الخلاء فيستغفر الله منه، وقال أهل اللغة: الأواب: الرجاع الذي يرجع إلى التوبة والطاعة(٧٥). وذكر السمعاني بعض الأقوال السابقة وزاد عليها(٧٦).

والأظهر: أن الأواب هو التائب من الذنب، الراجع من معصية الله إلى طاعته، ومما يكرهه إلى ما يرضاه؛ لأن الأوّاب إنما هو فعّال، من قول القائل: آب فلان من كذا إما من سفره إلى منزله، أو من حال إلى حال(٧٧).

ثالثًا: الخوف والخشية:

الخشية هي: الخوف المبني على العلم بعظمة من يخشاه وكمال سلطانه لقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فَاطِر: ٢٨]، أي العلماء بعظمته وكمال سلطانه، فهي أخص من الخوف قال الله تعالى

(٧٤) انظر: مدارج السالكين، لابن القيم (١/٤٣٢).

(٧٥) انظر: تهذيب اللغة، للأزهري (١٥/٤٣٥)، ولسان العرب لابن منظور (١/٢١٩).

(٧٦) انظر: تفسير السمعاني: (٣/٢٣٤).

(٧٧) انظر: تفسير الطبري: (١٧/٤١٥).

﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فَاطِر: ٢٨] ، فهي خوف مقرون بمعرفة، وقال النبي صلى الله عليه وسلم "إني أتقاكم لله، وأشدكم له خشية"(٧٨).

والخوف: هو الذعر وهو انفعال يحصل عند توقع ما فيه هلاك أو ضررٌ أو أذى، وقد نهى الله سبحانه وتعالى عن خوف أولياء الشيطان وأمر بخوفه وحده، قال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عِمْرَان: ١٧٥] (٧٩).

والخوف ثلاثة أنواع:

النوع الأول: خوف طبيعي؛ كخوف الإنسان من السبع والنار والغرق وهذا لا يلام عليه العبد قال الله تعالى عن موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القَصَص: ١٨] ، لكن إذا كان هذا الخوف سببًا لترك واجب أو فعل محرم كان محرمًا؛ لأن ما كان سببًا لترك واجب أو فعل محرم فهو حرام ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عِمْرَان: ١٧٥] .

النوع الثاني: خوف العبادة: أن يخاف أحدًا فيتعبّد بالخوف له فهذا لا يكون إلا لله تعالى، وصرفه لغير الله تعالى شرك أكبر.

النوع الثالث: خوف السر كأن يخاف صاحب القبر، أو وليًا بعيدًا عنه لا يؤثر فيه لكنه يخافه مخافة سر فهذا أيضا ذكره العلماء من الشرك(٨٠)، فالخوف حركة، والخشية انجماع، وانقباض وسكون، فإن الذي يرى العدو والسيل ونحو ذلك له حالتان:

إحداهما: حركة للهرب منه، وهي حالة الخوف.

والثانية: سكونه وقراره في مكان لا يصل إليه فيه، وهي الخشية(٨١).

---

(٧٨) رواه مسلم، برقم (٢/ ٨٨٣، ح ١٤١)، والبخاري، برقم (٥٠٥٢).

(٧٩) شرح ثلاثة الأصول للعثيمين (ص: ٥٦، ٦٠).

(٨٠) المصدر السابق (ص: ٥٧).

(٨١) مدارج السالكين لابن القيم (١/٥٠٨).

وفرّق الشيخ ابن عثيمين بين الخشية والخوف بقوله: "ويتضح الفرق بينهما بالمثال فإذا خفت من شخص لا تدري هل هو قادر عليك أم لا فهذا خوف، وإذا خفت من شخص تعلم أنه قادر عليك فهذه خشية"(٨٢).

ومن الفروق بينهما أيضًا: أن الخوف يتعلق بالمكروه وبترك المكروه، والخشية تتعلق بمنزل المكروه، ولا يسمى الخوف من نفس المكروه خشية، ولهذا قال: ﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرَّعْد : ٢١] ، حيث ذكر الخشية في جانبه سبحانه والخوف في جانب الحساب.

وقد يراد بالخشية: الإكرام والإعظام، وعليه حمل قراءة من قرأ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فَاطِر : ٢٨] ، برفع (الله) ونصب العلماء (٨٣).

وهذه العبادات لا يجوز صرفها إلا لله وحده، فمن صرف منها شيئًا لغير الله فهو مشرك كافر، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المُؤْمِنُون : ١١٧] .

وهذا النوع من أنواع التوحيد هو أعظم أصول الدين وأفرضها، فلأجله خلق الله الخلق، كما قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذَّارِيَات : ٥٦] ، ولأجله أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النَّحل : ٣٦] (٨٤).

المطلب الثالث: دلائل سورة ق على نواقض توحيد الألوهية.

المتأمل في هذه السورة يتبين له جملة من الأمور التي تضاد توحيد الألوهية حيث أشارت إليها بعض الآيات في هذه السورة، ومدارها حول الشرك بالله تعالى، قال تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ۝٢٤ مَّنَّاعٍ

(٨٢) شرح ثلاثة الأصول للعثيمين (ص: ٦٠- ٦١).

(٨٣) معجم الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، (ص: ٢١٧- ٢١٩).

(٨٤) التوحيد وبيان العقيدة السلفية النقية، عبد الله بن محمد بن حميد (ص: ٢٣- ٢٤).

لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ﴾ [ق : ٢٤ - ٢٦]. قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾؛ "أي: أشرك بالله فعبد معه غيره"(٨٥).

آثار الشرك في الدنيا والآخرة:

بينت هذه السورة مدى خطورة الشرك، وأنه مناقض لتوحيد الألوهية، وبيّنت مصير المشركين في الدنيا والآخرة؛ لعدم قبولهم دعوة الحق، فمن آثار الشرك في الدنيا التي أشارت إليها هذه السورة؛ قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ [ق : ١٢ - ١٤]. ففي هذه الآيات بيان لآثار الشرك في الدنيا، وأن هذه الأقوام التي أشارت إليهم الآيات السابقة وهم؛ قوم نوح وأصحاب الرس وقوم عاد وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة وقوم تبع؛ لما كذبت رسلها فيما جاؤوا به من عند الله وهي عبادة الله وطاعته؛ حقّ عليهم وعده ووعيده كما قررتها الآيات السابقة(٨٦).

وهذا ما بينه الله في كتابه الكريم: قال تعالى عن قوم نوح: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ۙ فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ [الحاقة:٥- ١٢]، وقال تعالى عن قوم فرعون ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البَقَرَة : ٥٠]، وقال تعالى عن قوم لوط: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الحِجر : ٧٣ - ٧٤].

وأما عواقب الشرك وآثاره في الآخرة؛ فهي الخلود في النار، قال تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ﴾ [ق : ٢٤ - ٢٦] ،

(٨٥) تفسير ابن كثير: (٤٠٢/٧).

(٨٦) انظر المصدر السابق (٣٣٩/٢٢).

والمعنى: "اطرحا في جهنم كل من كفر بالله أو أشرك به شريكًا آخر، لأنه مكابر معاند للحق وأهله، كثير الكفر والتكذيب بالحق، معارض له بالباطل مع علمه بذلك"(٨٧).

(٨٧) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي (٣٠١/٢٦).

المبحث الثالث

دلائل سورة ق على توحيد الأسماء والصفات

المطلب الأول: تعريف توحيد الأسماء والصفات.

الأسماء: جمع اسم وأصله (سِمْو) بالواو، وهو من العلو والرفعة؛ وإنما جعل الاسم تنويهًا على المعنى؛ لأن المعنى تحت الاسم(٨٨)، والاسم: هو اللفظ الدال على المسمى(٨٩) وأسماء الله؛ كل ما دل على ذات الله، مما ورد في الكتاب والسنة مع صفات الكمال القائمة به سبحانه؛ مثل اسم: القادر والعليم والحكيم والسميع والبصير وغيرها(٩٠).

والصفات: جمع صفة وأصلها (وَصَفَ) والصفة: الأمارة اللازمة للشيء(٩١)، وهي ما دلّ على معنى زائد على الذات(٩٢). وصفات الله؛ هي نعوت الكمال القائمة بذاته سبحانه؛ كالعلم والحكمة والسمع والبصر(٩٣).

والفرق بين الأسماء والصفات: أن الأسماء تدل على الذات مع دلالتها على صفات الكمال، وأما الصفات فإنها تدل على معنى قائم بالذات فقط(٩٤).

---

(٨٨) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٣/ ٧٩)، مقاييس اللغة لابن فارس (٩٨/٣).

(٨٩) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٩٢/٦)، بدائع الفوائد لابن القيم (٢٩/١).

(٩٠) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (١٦٠/٣)، والمجلَّى في شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى للعلامة محمد صالح العثيمين، لكاملة الكواري (ص: ٦٨).

(٩١) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس: (١١٥/٦).

(٩٢) انظر: لوامع الأنوار للسفاريني (١٢٥/١).

(٩٣) انظر: المجلَّى في شرح القواعد المثلى لكاملة الكواري (ص: ٦٨- ٦٩).

(٩٤) اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (١٦٠/٣)، والمجلَّى في شرح القواعد المثلى لابن عثيمين، كاملة الكواري (ص: ٦٨).

وأما توحيد الأسماء والصفات فهو: الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء الحسنى والصفات العُلى، وإمرارها كما جاءت على الوجه اللائق به ﷻ(٩٥).

المطلب الثاني: صفات الله تعالى الواردة في سورة ق.

أولاً: الصفات الثبوتية:

ورد في سورة (ق) عدد من الصفات الثبوتية لله تعالى أبرزها ما يلي:

الصفة الأولى: صفة العلم:

العلم صفة ذاتية لازمة لله تعالى لا تنفك عنه، وقد أحاط الله تعالى بكل شيء علماً جملة وتفصيلاً. وقد وردت في أكثر من موضع في هذه السورة، منها قوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾[ق:٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق : ١٦]، وقوله تعالى: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق : ٤٥].

فالآيات السابقة تُبيّن أن الله تعالى عليم بكل شيء، وأن علمه شامل ومحيط بكل ما في الوجود، سواء كان ظاهراً أو خفياً، كبيراً أو صغيراً، كلياً أو جزئياً. فعلم الله صفة ذاتية له سبحانه، أزلي لا بداية له. فقد علم في الأزل كل ما سيخلقه، وكل ما يمرّ بخلقه من أحوال، ومن أرزاق وأعمار وأعمال، ومن سيكون منهم من أهل الجنة ومن سيكون من أهل النار.

والنصوص الشرعية الدالة على صفة العلم كثيرة، فأهل السنة والجماعة أجمعوا على الإيمان بها وأنها ثابتة لله حقيقة وأثبتوا ما تدل عليه من المعاني ولم يكيفوها أو يمثلوها.

وقد سبقت الإشارة إلى النصوص الواردة في سورة ق للدلالة على ذلك، وأما من السنة، فقد قال صلى الله عليه وسلم: «مَفَاتِيحُ الغَيْبِ خَمْسٌ، لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ: لَا يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَا فِي

(٩٥) انظر: أعلام السنة المنشورة لحافظ حكمي (ص: ٢٥)، مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١/٢١- ٢٢).

غَدٍ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي المطَرُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللَّهُ»(٩٦).

وأما الإجماع على إثبات هذه الصفة لله تعالى؛ فقد قال أبو الحسن الأشعري: "وأجمعوا أنه تعالى لم يزل موجوداً حياً قادراً عالماً مريداً متكلماً سميعاً بصيراً على ما وصف به نفسه وتَسمّى به في كتابه، وأخبرهم به ورسوله، ودلت عليه أفعاله"(٩٧).

وقال السفاريني رحمه الله: "يجب الجزم بأنه تعالى عالم بعلم واحد وجودي قديم باقٍ ذاتي تنكشف به المعلومات عند تعلقه بها، وإنما قلنا: بأن علمه ذاتي كسائر صفاته تعالى للرد على الحكماء القائلين بنفي الصفات وإثبات غاياتها والرد على المعتزلة القائلين بأنه يعلم بالذات لا بصفة زائدة عليها، والدليل على أن صفاته زائدة على ذاته ورود النصوص بأنه تعالى عالٍ، وحي وقادر ونحوها، وكونه عالماً يعلل بقيام العلم به في الشاهد فكذلك في الغائب وقس عليه سائر الصفات"(٩٨).

وقد أنكرت الغلاة من القدرية علم الله السابق(٩٩)، وقد ردّ عليهم ابن القيم رحمه الله بقوله: " فأما المرتبة الأولى: وهي العلم السابق فقد اتفق عليه الرسل من أولهم إلى خاتمهم واتفق عليه جميع الصحابة ومن تبعهم من الأمة وخالفهم مجوس الأمة"(١٠٠).

---

(٩٦) رواه البخاري، برقم (١١١٩٤).

(٩٧) رسالة إلى أهل الثغر، لأبي الحسن الأشعري: (ص: ١٢٠).

(٩٨) لوامع الأنوار البهية، (١/١٤٥).

(٩٩) انظر: مجموع الفتاوى (٨/٥٩). وانظر رأي غلاة القدرية في: الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد لأبي الحسن الخياط (ص٦٠)، وشرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (ص ٢٣٣)، والكشاف، للزمخشري (٢/ ٨٨).

(١٠٠) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن القيم (ص:٢٩)، وقد أثبت أهل السنة علم الله الأزلي، وأنه يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، قال تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطَّلَاق: ١٢] ، وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما منكم من نفس إلا عُلِم منزلها من الجنة والنار"، (مسلم برقم (٦٧٣٣)، والبخاري برقم(٦٦٠٥)، وقد أنكر غلاة القدرية هذا العلم السابق، فقد نقل عن جهم أنه كان يقول: "إن علم الله سبحانه محدث فيما يحكى عنه.. وأنه لا

الصفة الثانية: قرب الله عز وجل من العباد.

وقد وردت هذه الصفة في سورة (ق) في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق : ١٦] (١٠١).

والقرب والدنو من صفات الله تعالى الفعلية الاختيارية، الثابتة بدلالة الكتابة والسنة والإجماع(١٠٢)، وهذا ظاهر في معنى الآية، يقول الشيخ السعدي رحمه الله: "واعلم أن قربه تعالى نوعان: عام، وخاص، فالقرب العام: قربه بعلمه، من جميع الخلق، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ والقرب الخاص: قربه من عابديه، وسائليه، ومحبيه، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿واسجد واقترب﴾"(١٠٣).

يقال إن الله لم يزل عالماً بالأشياء قبل أن تكون"، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن الأشعري، (ص٢٨٠)، وقد حكى ذلك عنهم أيضاً: شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى، (٥٩/٨، ٤٩١).

(١٠١) وقد ذهب بعض أهل العلم على أن القرب هنا يُقصد به قرب الملائكة لا قرب رب العزة جل جلاله قال ابن كثير رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق : ١٦] يعني: ملائكته تعالى أقربُ إلى الإنسان من حبل وريده إليه. ومن تأوله على العلم فإنما فر لئلا يلزم حلول أو اتحاد، وهما منفيان بالإجماع، تعالى الله وتقدس، ولكن اللفظ لا يقتضيه فإنه لم يقل: وأنا أقرب إليه من حبل الوريد، وإنما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ كما قال في المحتضر: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقِعَة : ٨٥] ، يعني ملائكته. وكما قال [تعالى]: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحِجر : ٩]، فالملائكة نزلت بالذكر -وهو القرآن- بإذن الله، عز وجل. وكذلك الملائكة أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه بإقدار الله لهم على ذلك، فللملك لَمّة في الإنسان كما أن للشيطان لمة وكذلك: "الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم"، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق؛ ولهذا قال هاهنا: (إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ) يعني: الملكين اللذين يكتبان عمل الإنسان. (عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ) أي: مترصد. انظر: تفسير ابن كثير (٣٩٨/٧)، والقواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، لابن عثيمين، (ص٦٥).

(١٠٢) ذكر جمع من المفسرين أن الآية تدل على صفة القرب والدنو، انظر: تفسير ابن جرير، (٤٢١/٢١، ٤٢٢)، وتفسير القرطبي، (٩/١٧)، ومجموع الفتاوى، لابن تيمية (٥٠٥/٥)، وبعضهم ذكر أن: المرادُ: نحن أقربُ إليه بالعِلمِ والقُدرةِ والإحاطةِ، انظر: تفسير القرطبي، (٩/١٧).

(١٠٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص (٣٨٤).

فمن الكتاب: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البَقَرَة: ١٨٦]. وقوله سبحانه: ﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هُود: ٦١].

ومن السُّنَّة: قوله جل وعلا في الحديث القدسي: "... من تقرب مني شبرًا، تقربت منه ذراعًا، ومن تقرب مني ذراعًا، تقربت منه باعًا ..."(١٠٤).

وقوله -صلى الله عليه وسلم-: "أيها الناس: أربعوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا، ولكن تدعون سميعًا قريبًا، إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته"(١٠٥).

وأما الإجماع: فقد أجمع سلف الأمة وأئمتها على إثبات صفة القرب لله تعالى، فقد حكاه عنهم جمع من أهل العلم، منهم: الإمام الشافعي رحمهُ الله(١٠٦)، وقال أحمد بن سريج(١٠٧) إمام الشافعية في وقته رحمه الله: "واتَّضح عند جميع أهل الديانة والسنة والجماعة من السلف الماضين والصحابة والتابعين من الأئمة المهديين الراشدين أن جميع الآيات الواردة عن الله تعالى في ذاته وصفاته، والأخبار الصادقة الصادرة عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في الله وفي صفاته، التي صححها أهل النقل وقبِلَها النقاد الأثبات؛ يجب على المرء المسلم المؤمن الموقن الإيمانُ بكل واحدٍ منه كما ورد، وتسليم أمره إلى الله سبحانه وتعالى ثم عدّد

(١٠٤) رواه البخاري، برقم (٧٤٠٥) ومسلم برقم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة. ورقم (٢٦٨٧) من حديث أبي ذر، وهذا لفظه.

(١٠٥) رواه البُخَارِيّ، برقم (٤٢٠٥)، ورقم (٦٣٨٤)، ورقم (٧٣٨٦)، وَمُسلم، برقم (٢٠٧٦).

(١٠٦) حكى ذلك عنه ابن قدامة، في إثبات صفة العلو: (ص ١٢٣) برقم (١٠٨)، وذكره شيخ الإسلام في الفتاوى (٤/ ١٨٢).

(١٠٧) هو أحمد بن عمر سريج. بغدادي. كان يلقب بالباز الأشهب، فقيه الشافعية في عصره. مولده ووفاته ببغداد. له نحو ٤٠٠ مصنف. ولي القضاء بشيراز، ثم اعتزل، وعرض عليه قضاء القضاة فامتنع، وقام بنصرة المذهب الشافعي فنصره في كثير من الأمصار. وعده البعض مجدد المئة الثالثة. وله ردود على محمد بن داود الظاهري ومناظرات معه، وفضله بعضهم على جميع أصحاب الشافعي حتى على المزني، من تصانيفه "الانتصار" و"الأقسام والخصال" في فروع الفقه الشافعي؛ و"الودائع لنصوص الشرائع"، انظر: الأعلام للزركلي (١ / ١٧٨).

جملة من الصفات وذكر منها القرب والبعد.. والدنو كقاب قوسين أو أدنى.."(١٠٨).

وقال شيخ الإسلام: "وأما دنوه نفسه وتقربه من بعض عباده؛ فهذا يثبته من يثبت قيام الأفعال الاختيارية بنفسه ومجيئه يوم القيامة ونزوله واستوائه على العرش. وهذا مذهب أئمة السلف وأئمة الإسلام المشهورين وأهل الحديث؛ والنقل عنهم بذلك متواتر"(١٠٩).

وكما هو معلوم عن عقيدة أهل السنة والجماعة أن قربه سبحانه لا ينافي علوه تعالى وفوقيته. قال شيخ الاسلام رحمه الله: "وما ذكر في الكتاب والسنة – من قربه ومعيته – لا ينافي ما ذكر من علوه وفوقيته؛ فإنه سبحانه ليس كمثله شيء في جميع نعوته، وهو عَلِيٌّ في دنوِّه، قريب في علوّه"(١١٠).

فأهل السنة والجماعة من السلف، وأهل الحديث يعتقدون أن الله عز وجل قريب من عباده حقيقة كما يليق بجلاله وعظمته، وهو مستوٍ على عرشه بائن من خلقه، وأنه يتقرب إليهم حقيقة، ويدنو منهم حقيقة، ولكنهم لا يفسرون كل قرب ورد لفظه في القرآن أو السنة بالقرب الحقيقي، فقد يكون القرب قرب الملائكة، وذلك حسب سياق اللفظ(١١١).

الصفة الثالثة: صفة الكلام:

صفة الكلام من الصفات الذاتية الفعلية؛ فإنه باعتبار أصله صفة ذاتية؛ لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال متكلمًا، وباعتبار آحاده صفة فعلية؛ لأن الكلام يتعلق بمشيئته، فهو سبحانه يتكلم متى شاء بما شاء(١١٢).

وقد وردت صفة الكلام في هذه السورة في قول الله عز وجل: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠]. فالله يقول ويتكلم بما شاء متى شاء، وقد تنازع الناس حول هذه المسألة نزاعًا كبيرًا:

---

(١٠٨) اجتماع الجيوش الإسلامية، لابن القيم (١/٢٥٣- ٢٥٤).

(١٠٩) مجموع الفتاوى، لابن تيمية: (٥/٤٦٦).

(١١٠) المصدر السابق (٣/١٤٣).

(١١١) صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة، علوي السقاف (ص: ١٠٥).

(١١٢) انظر: القواعد المثلى، لابن عثيمين (ص: ٢٥).

فالمعتزلة جعلوا كلامه سبحانه وتعالى مخلوقًا منفصلًا عنه(١١٣).

والأشاعرة وآخرون قالوا إن الكلام لازم لذاته أزلًا وأبدًا، لا يتعلق بمشيئته وقدرته، ونفوا عنه الحرف والصوت، وقالوا: إنه معنى واحد في الأزل، وليس ثَمّ صوت يسمع ولا كلام حقيقة(١١٤).

وخلاصة مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة: أنَّ الكلام صفة لله تعالى قائمة بذاته، يتكلم به بمشيئته وقدرته، فهو لم يزل ولا يزال متكلمًا، وما تكلم الله به فهو قائم به، ليس مخلوقًا منفصلًا عنه؛ كما تقول المعتزلة، ولا لازمًا لذاته لزوم الحياة لها؛ كما تقول الأشاعرة؛ بل هو تابع لمشيئته وقدرته(١١٥).

ومن الأدلة التي استدل بها أهل السنة: قوله تعالى: قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النِّسَاء: ١٦٤]، وقوله ﷺ: "مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ"(١١٦).

ومن الأدلة قوله ﷺ: "مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ"(١١٧).

هذا دليل على أن كلام الله تعالى غير مخلوق، فلو كانت كلمات الله تعالى مخلوقة، لكانت الاستعاذة بها شركًا؛ لأنها استعاذة بمخلوق(١١٨).

وقد أجمع السلف على إثبات الكلام لله تعالى، فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل. وهو كلام حقيقي يليق بالله تعالى يتعلق بمشيئته بحروف وأصوات مسموعة.

---

(١١٣) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار (ص: ٥٢٨).

(١١٤) انظر: الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، لأبي المعالي الجويني (ص: ٩٣، ٩٤).

(١١٥) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، لأبي القاسم اللالكائي (٣٦٤/٢)، والحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، لأبي القاسم الأصبهاني (١٢٧/١ و ٣٤٩)، وشرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية (ص: ٧٨)، لوامع الأنوار للسفاريني (١٦٢/١)، شرح الطحاوية للشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٨١/١- ١٨٣).

(١١٦) رواه البخاري، برقم (٧٤٤٣). ومسلم، برقم (١٠١٦).

(١١٧) رواه مسلم، برقم (٢٧٠٨).

(١١٨) ينظر: القول المفيد (٣٣٢/٢).

قال أبو الحسن الأشعري – رحمه الله–: "وأجمعوا [أي السلف] على إثبات حياةٍ لله ﷻ لم يزل بها حيًا... وكلامٍ لم يزل به متكلمًا"(١١٩).

وقال شيخ الإسلام: "واستفاضت الآثار عن النبي ﷺ، والصحابة، والتابعين، ومن بعدهم من أئمة السنة، أنه سبحانه ينادي بصوت: نادى موسى، وينادي عباده يوم القيامة بصوت، ويتكلم بالوحي بصوت، ولم ينقل عن أحد من السلف أنه قال: إن الله يتكلم بلا صوت، أو بلا حرف، ولا أنه أنكر أن يتكلم الله بصوت أو بحرف، كما لم يقل أحد منهم إن الصوت الذي سمعه موسى قديم، ولا أن ذلك النداء قديم، ولا قال أحد منهم: إن هذه الأصوات المسموعة من القراء هي الصوت الذي تكلم الله به، بل الآثار مستفيضة عنهم بالفرق بين الصوت الذي يتكلم الله به وبين أصوات العباد"(١٢٠).

الصفة الرابعة: صفة القَدَم:

وإثبات القَدَم والرجل لله عز وجل صفة من صفاته الذاتية الخبرية، ومنهج أهل السنة والجماعة الإيمان بها وإثباتها لله عز وجل وليس إقراراً فقط، وإنما إيمان جازم بالجنان واللسان، ومعنى هذا: الاعتقاد أن القَدَم والرجل ثابتة لله عز وجل على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى بلا تمثيل ولا تعطيل.

وقد استدل أهل السنة والجماعة على هذه الصفة بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق : ٣٠]. قال الشيخ السعدي رحمه الله: "وقد وعدها الله ملأها، كما قال تعالى ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هُود : ١١٩] حتى يضع رب العزة عليها قدمه الكريمة المنزهة عن التشبيه، فينزوي بعضها على بعض، وتقول: قط قط، قد اكتفيت وامتلأت"(١٢١). ودلّ على هذه الصفة ما ورد في السنة من حيث أنس بن مالك قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ رَبُّ العِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ، فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ وَعِزَّتِكَ، وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ»(١٢٢).

---

(١١٩) رسالة إلى أهل الثغر، للأشعري: (ص: ١٢١).

(١٢٠) مجموع الرسائل والمسائل، لابن تيمية (٣/٢٢، ٢٣).

(١٢١) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: ٨٠٦).

(١٢٢) رواه البخاري، برقم (٦٦٦١)، ومسلم، برقم (٢٨٤٨).

والمتكلمون أولوا هذه الصفة فقالوا: إن المراد بالقَدَم: "المتقدم"، أو "قدم بعض المخلوقين"، أو "مخلوق اسمه قدم"، أو "موضع"، أو "اسم لما قدم من شيء"، وغيرها(١٢٣). قال الإمام ابن القيم رحمه الله في معرض رده على تأويلات أهل الكلام: "فلو رأيتها وهم يلوكونها بأفواههم وقد حلت بها المثلات، وتلاعب بها أمواج التأويلات، ونادى عليها أهل التأويل في سوق: من يزيد، فبذل كل واحد في ثمنها من التأويل ما يريد، فلو رأيتها وقد عزلت عن سلطنة اليقين، وجعلت تحت تحكم تأويل الجاهلين، هذا وقد قعد النفاة على صراطها المستقيم بالدفع في صدورها والأعجاز وقالوا: لا طريق لك علينا، وإن كان ولا بد فعلى سبيل المجاز، فنحن أهل المعقولات وأصحاب البراهين، وأنت أدلة لفظية، وظواهر سمعية، لا تفيد العلم ولا اليقين، فسندك آحاد وهو عرضة للطعن في الناقلين، وإن صح وتواتر ففهم مراد المتكلم منها موقوف على انتفاء عشرة أشياء لا سبيل إلى العلم بانتفائها عند الناظرين والباحثين"(١٢٤).

ثانيًا: الصفات المنفية عن الله عز وجل:

وهي الصفات التي نفاها الله تعالى عن نفسه، وتشمل أمرين(١٢٥):

الأمر الأول: انتفاء تلك الصفة.

والأمر الثاني: ثبوت كمال ضدها.

وقد ورد في هذه السورة بعض الصفات المنفية التي نفاها الله تعالى عن نفسه أو تنزه عنها. وهذه الصفات هي:

١- نفي صفة اللغوب أو التعب عن الله تعالى: كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق : ٣٨].

(١٢٣) انظر: بحر الكلام، لأبي المعين النسفي (ص:١١٩)، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين العيني (١٨٨/١٩).

(١٢٤) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن القيم (٢٩٧/١- ٢٩٨).

(١٢٥) انظر: تقريب التدمرية لابن عثيمين (ص: ٤٨).

فنَفْي اللغوب والعي متضمن لكمال قدرته وقوته، لأنه لابد عند نفي صفات النقص والعيب من إثبات كمال الضد، لأن النفي المحض ليس كمالاً، والقدرة صفة ذاتية ثابتة لله عز وجل بالكتاب والسنة(١٢٦). فقد دلت هذه الآية على أن الله نفى عن نفسه التعب والعجز لكمال قدرته وقوته.

وهذه الآية ردٌ على اليهود الذين قالوا "خلق الله السموات والأرض في ستة أيام، ثم استراح في اليوم السابع، وهو يوم السبت، وهم يسمونه يوم الراحة، فأنزل الله تكذيبهم فيما قالوه وتأولوه: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾، أي: من إعياء ولا نصب ولا تعب"(١٢٧).

قال الشيخ السعدي رحمه الله: "وهذا إخبار منه تعالى عن قدرته العظيمة، ومشيئته النافذة، التي أوجد بها أعظم المخلوقات ﴿السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها يوم الأحد، وآخرها يوم الجمعة، من غير تعب، ولا نصب، ولا لغوب، ولا إعياء"(١٢٨).

والأدلة على إثبات هذه الصفة كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [البَقَرَة: ٢٠]. وقوله تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ﴾ [الأَنْعَام: ٦٥].

ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم: «وَقُلْ بِاسْمِ اللهِ ثَلَاثًا، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ أَعُوذُ بِاللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ»(١٢٩).

قال الخطابي: "ووصف الله نفسه بأنه قادر على كل شيء، أراده: لا يعترضه عجز ولا فتور، وقد يكون القادر بمعنى المقدِّر للشيء، يقال: قَدرْت الشيْءَ وقَدَرْتُه بمعنى واحد كقوله: ﴿فَقَدَرۡنَا فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ﴾ [المُرْسَلَات: ٢٣]؛ أي: نعم المقدرون"(١٣٠).

---

(١٢٦) انظر: فائدة جليلة في قواعد الأسماء الحسنى، لابن القيم (ص: ٢٣)، وبدائع الفوائد لابن القيم (١/١٦١).

(١٢٧) تفسير ابن كثير (٧/٤٠٩).

(١٢٨) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٧٠٨).

(١٢٩) رواه مسلم، برقم (٢٢٠٢).

(١٣٠) شأن الدعاء، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (١/٨٦).

٢- نفي صفة الظلم عن الله تعالى:

فنفي صفة الظلم عن الله تعالى يتضمن إثبات كمال عدله سبحانه لأن النفي المحض ليس كمالاً، فالله سبحانه نفى الظلم عن نفسه لكمال عدله سبحانه، ومن الأدلة على ذلك قوله سبحانه في هذه السورة: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩]. فقوله: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩]. نفي للظلم وهو متضمن لكمال عدله(١٣١). وفي الحديث القدسي: "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا"(١٣٢).

وقد عرّف أهل السنة الظلم بأنه: وضع الشيء في غير موقعه وموضعه، والله سبحانه حكيم يضع الأشياء مواضعها، ولا يحمِّل العبد سيئات غيره، ولا يعذبه بما لم تكتسبه يداه(١٣٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "الظلم؛ وضع الشيء في غير موضعه"(١٣٤).

وقال ابن القيم -رحمه الله-: "وقال أهل السنة والحديث ومن وافقهم: إن الظلم وضع الشيء في غير موضعه، وهو سبحانه حكم عدل، لا يضع الشيء إلا في موضعه الذي يناسبه ويقتضيه العدل والحكمة والمصلحة، وهو سبحانه لا يفرق بين متماثلين ولا يسوي بين مختلفين، ولا يعاقب إلا من يستحق العقوبة ويضعها في موضعها لما في ذلك من الحكمة، ولا يعاقب أهل البر والتقوى"(١٣٥).

---

(١٣١) تقريب التدمرية لابن عثيمين (ص: ٤٨).

(١٣٢) رواه مسلم، برقم (٢٥٧٧).

(١٣٣) انظر: السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، للشوكاني (ص: ٩٣٩)، وفتح القدير، للشوكاني (٥٢٧/١)، نيل الأوطار للشوكاني (٢١٨/١).

(١٣٤) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، لابن تيمية (١١٧/١)، ومنهاج السنة لابن تيمية (١٣٩/١)، والنبوات لابن تيمية (٤٧٣/١).

(١٣٥) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن القيم، اختصره: محمد بن محمد بن عبد الكريم، ابن الموصلي، (ص: ٢٣٢).

الخاتمة

بحمد الله ومنته وفضله تم هذا البحث عن: سورة (ق) ودلالتها على التوحيد، وقد تناولت فيه ما اشتملت عليه سورة (ق)، من أدلة التوحيد، ولا شك أن مقصد التوحيد هو المقصد الأصلي الذي ترجع إليه جميع المقاصد القرآنية، وهو أول أركان الإيمان وأهمها على الإطلاق، ومن ثم كانت الأهمية به ظاهرة وواضحة، وقد رأينا كيف اشتملت هذه السورة الكريمة على دلالات متعددة ومتنوعة على التوحيد، وقد تبين لي من خلالها ما يلي:

- أن سورة (ق) من السور العظيمة التي اشتملت على عدد من أصول العقيدة، كالإيمان بالله تعالى، واليوم الآخر، والبعث، والجزاء، وقد جاءت آيات السورة الكريمة في أسلوب بليغ مؤثر يخاطب العقل والقلب معًا، ويعكس عظمة البيان القرآني في ترسيخ العقيدة والتذكير بهذه الأصول الإيمانية.
- تضمنت هذه السورة الكثير من مسائل ودلائل توحيد الله تعالى؛ كتوحيد الألوهية، والربوبية والأسماء والصفات.
- تنوعت الدلالات الواردة في سورة ق على التوحيد ما بين (دلالة الفطرة، ودلالة العقل، ودلالة الأنفس، ودلالة الآفاق).
- تناولت السورة أيضا نماذج من مظاهر الانحراف في التوحيد بأنواعه عند الأمم السابقة، مثل الشك في البعث، كما بينت السورة آثار الشرك في الدنيا وعواقبه على الذين وقعوا فيه، مع بيان الأثر الأخروي عليهم، من الخلود في النار، والتعرض لأشد أنواع العذاب.
- جميع ما تناولته السورة من أدلة ومظاهر للانحراف، جاء بصورة تهز القلوب، وتبهر النفوس، وذلك باستخدام القَسم، والتذكير بالخلق الأول، والرجوع إلى مشاهد الطبيعة كالدلالة على قدرة الله تعالى على البعث، وتقريع المشركين الذين خالفوا في التوحيد، بما سيرونه يوم البعث من عذاب وجحيم.

أهم التوصيات:

- دراسة دلالة سور القرآن على التوحيد، ولا شك ان القرآن الكريم فيه من أدلة التوحيد ما لا يمكن حصره.
- دراسة مناهج السور في الدلالة على التوحيد.
- البحث عن مقاصد السور، وبيان الفرق بين المكية والمدنية في تناول أدلة التوحيد.

والحمد لله في البدء والختام، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

مصادر البحث

١. إثبات صفة العلو، لابن قدامة، تحقيق: أحمد بن عطية بن علي الغامدي، ط١، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤٠٩هـ.

٢. اجتماع الجيوش الإسلامية، لابن القيم ،تحقيق: زائد بن أحمد النشيري، ط٤، دار عطاءات العلم (الرياض)، ١٤٤٠هـ.

٣. الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، سعود بن عبدالعزيز محمد العريفي، ط١، دار عالم الفوائد، ١٤١٩هـ.

٤. الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، لأبي المعالي الجويني، ضبط وتحقيق: د. أحمد عبدالرحيم السايح، توفيق علي وهبة، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٣٠هـ.

٥. أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، تأليف نخبة من العلماء، ط١، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ١٤٢١هـ.

٦. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الشنقيطي، ط٥، دار عطاءات العلم (الرياض)، ١٤٤١هـ، بإشراف: الشيخ بكر أبو زيد.

٧. أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، تحقيق، حازم القاضي، ط٢، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ١٤٢٢هـ.

٨. الأعلام للزركلي، خير الدين الزركلي، ط٥. دار العلم للملايين ٢٠٠٢م.

٩. الاقتصاد لأبي حامد الغزال، وضع حواشيه: عبد الله محمد الخليلي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ.

١٠. إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، لابن الوزير اليمني، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

١١. بحر الكلام، لأبي المعين النسفي، دراسة وتحقيق: محمد السيد البرسيجي، ط١، دار الفتح، عمان، الأردن، ١٤٣٥هـ.

١٢. بدائع الفوائد لابن القيم، تحقيق: علي بن محمّد العمران، ط٥، دار عطاءات العلم (الرياض)، ١٤٤٠هـ.

١٣. تاج العروس من جواهر القاموس، لمرتضى الزبيدي، تحقيق: جماعة من المختصين، ط. وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، ١٣٨٥هـ.

١٤. تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد ويليه شرح الصدور في تحريم رفع القبور، محمد بن إسماعيل الصنعاني، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: عبد المحسن بن حمد العباد البدر، ط١، مطبعة سفير، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٤هـ.

١٥. تفسير ابن كثير، المسمى: "تفسير القرآن العظيم"، تحقيق، سامي بن محمد السلامة، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ.

١٦. تفسير السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ط١، دار الوطن، الرياض، ١٤١٨هـ.

١٧. تفسير الطبري، ط، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، (بدون).

١٨. تفسير القرآن الكريم، لابن عثيمين، دار الثريا، الرياض، ط/ الأولى، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

١٩. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، ط١، دار الفكر (دمشق، سورية)، ١٤١١هـ.

٢٠. التفسير الميسر، لنخبة من أساتذة التفسير، ط٢، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – السعودية، ١٤٣٠هـ.

٢١. تقريب التدمرية، لابن عثيمين، ط١، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ.

٢٢. تهذيب اللغة، للأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.

٢٣. التوحيد وبيان العقيدة السلفية النقية، عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن حسين بن حميد، تحقيق: أشرف بن عبد المقصود، ط١، مكتبة طبرية، ١٤١٢هـ.

٢٤. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، تحقيق: زهير الشاويش، ط١، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٣هـ.

٢٥. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط١. مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٢٦. جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، لأبي عبد الله شمس الدين بن محمد بن أشرف بن قيصر الأفغاني، ط١، دار الصميعي، ١٤١٦هـ.

٢٧. الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، لأبي القاسم الأصبهاني، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، ومحمد بن محمود أبو رحيم، ط٢، دار الراية، السعودية / الرياض، ١٤١٩هـ.

٢٨. الداء والدواء، لابن القيم، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، ط٤، دار عطاءات العلم (الرياض)، ١٤٤٠هـ.

٢٩. دروس في العقيدة، عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن الراجحي، دروس صوتية مفرغة على المكتبة الشاملة.

٣٠. الرسالة المفيدة، لمحمد بن عبدالوهاب، تحقيق: محمد بن عبد العزيز المانع، ط. رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، (بدون).

٣١. رسالة إلى أهل الثغر، لبي الحسن الأشعري، تحقيق: عبد الله شاكر محمد الجنيدي، ط. عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤١٣هـ.

٣٢. زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت١٤٢٢هـ.

٣٣. السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، للشوكاني، ط١، دار ابن حزم، (بدون).

٣٤. شأن الدعاء، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدّقاق، ط٣، دار الثقافة العربية، ١٤١٢هـ.

٣٥. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، لأبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، ط٨، دار طيبة – السعودية، ١٤٢٣هـ.

٣٦. شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار، تعليق: أحمد بن الحسين بن ابي هاشم، وتحقيق: د. عبدالكريم عثمان، ط٣، مكتبة وهبة، ١٤١٦هـ.

٣٧. شرح الطحاوية، لابن جبرين، دروس صوتية مفرغة على المكتبة الشاملة، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١هـ.

٣٨. شرح العقيدة الأصفهانية، لابن تيمية، تحقيق: محمد بن رياض الأحمد، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٥هـ.

٣٩. شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، د. عبد الله بن المحسن التركي، ط١٠، مؤسسة الرسالة، بيروت١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

٤٠. شرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين، خرج أحاديثه واعتنى به: سعد بن فواز الصميل، ط٦، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ١٤٢١هـ.

٤١. شرح ثلاثة الأصول لابن عثيمين، ط٤، دار الثريا للنشر، ١٤٢٤هـ.

٤٢. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن القيم، ط. دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ.

٤٣. الشيخ عبدالرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة لعبدالرزاق بن عبدالمحسن العباد، ط٢، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٤هـ.

٤٤. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين – بيروت، ١٤٠٧هـ.

٤٥. صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة، علوي السقاف، ط٣، الدرر السنية – دار الهجرة، ١٤٢٦هـ.

٤٦. الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن القيم، تحقيق: حسين بن عكاشة بن رمضان، ط١، دار عطاءات العلم (الرياض)، ١٤٤٢هـ.

٤٧. طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، ط٢، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ.

٤٨. العبودية، لابن تيمية، تحقيق: محمد زهير الشاويش، ط٧، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٦هـ.

٤٩. عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، (بدون).

٥٠. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين العيني، عناية وضبط: جماعة من العلماء، ط. دار إحياء التراث العربي (بدون).

٥١. فائدة جليلة في قواعد الأسماء الحسنى، لابن القيم، تحقيق: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، ط١، دار غراس، الكويت، ١٤٢٤هـ.

٥٢. فتاوى اللجنة الدائمة، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، ط. رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء.

٥٣. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، ط١، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ١٤١٤هـ.

٥٤. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبدالرحمن آل الشيخ، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط٧، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، مصر، ١٣٧٧هـ.

٥٥. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، ط٢، دار الآفاق الجديدة – بيروت، ١٩٩٧م.

٥٦. الفوائد لابن القيم، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٣هـ.

٥٧. قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، لابن تيمية، تحقيق: ربيع بن هادي عمير المدخلي، ط١، مكتبة الفرقان، عجمان، ١٤٢٢هـ.

٥٨. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، ط٨، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦هـ.

٥٩. القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، لابن عثيمين، ط٣، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٢١هـ.

٦٠. القول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين، ط٢، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٤هـ.

٦١. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٦٢. لسان العرب، لابن منظور، ط٣، دار صادر– بيروت، ١٤١٤هـ.

٦٣. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، لشمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، ط٢، مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، ١٤٠٢هـ.

٦٤. المجلَّى في شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى للعلامة محمد صالح العثيمين، لكاملة الكواري، ط١، دار ابن حزم، ١٤٢٢هـ.

٦٥. مجموع الفتاوى، لابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، السعودية، ١٤٢٥هـ.

٦٦. مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، ط. الأخيرة، دار الوطن، ١٤١٣هـ.

٦٧. مجموعة الرسائل والمسائل، لابن تيمية، علق عليه: السيد محمد رشيد رضا، ط. لجنة التراث العربي، (بدون).

٦٨. مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن القيم، اختصره: محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البعلي شمس الدين، ابن الموصلي، تحقيق: سيد إبراهيم، ط١، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٢هـ.

٦٩. مدارج السالكين في منازل السائرين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، وآخرين، ط٢. دار عطاءات العلم، الرياض، ١٤٤١هـ/ ٢٠١٩م.

٧٠. معارج القبول بشرح سلم الوصول، لحافظ حكمي، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، ط١، دار ابن القيم، الدمام، ١٤١٠هـ.

٧١. معالم التوحيد في فاتحة الكتاب، أبو عبد الرحمن عرفة بن طنطاوي، ط، دار المأثور، ١٤٤١هـ، ٢٠٢٠م.

٧٢. معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، ط١، عالم الكتب، بيروت ١٤٠٨هـ.

٧٣. معجم الفروق اللغوية، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم» ١٤١٢هـ.

٧٤. معجم مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط. دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٧٥. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لابن القيم، ط٣، دار عطاءات العلم (الرياض)، ١٤٤٠هـ.

٧٦. المفيد في مهمات التوحيد، د. عبدالقادر عطا صوفي، ط١، دار الاعلام، ١٤٢٢هـ.

٧٧. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن الأشعري، عنى بتصحيحه: هلموت ريتر، ط٣، دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا)، ١٤٠٠هـ.

٧٨. الملل والنحل، عبدالكريم الشهرستاني، ط. مؤسسة الحلبي، بدون.

٧٩. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، لابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ط١، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٦هـ.

٨٠. النبوات لابن تيمية، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، ط١، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٠هـ.

٨١. النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، لأحمد القصاب، تحقيق: علي بن غازي التويجري، وآخرين، ط١، درا ابن القيم، ١٤٢٤هـ.

٨٢. نيل الأوطار للشوكاني، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، ط١، دار الحديث، مصر، ١٤١٣هـ